التصوير القرآني للحركة وأثره في الوحدة البنائية

دراسة تطبيقية في سورة العاديات

دكتور

محمد إبراهيم مغازي الحبشي

مدرس بقسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية

بإيتاي البارود- جامعة الأزهر

(العدد الخامس والثلاثون)

(الإصدار الأول)

(١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)

التصوير القرآني للحركة وأثره في الوحدة البنائية
دراسة تطبيقية في سورة العاديات

محمد إبراهيم مغازي الحبشي
مدرس بقسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود- جامعة الأزهر- مصر.
البريد الإلكتروني: Mohamedmoghazi.2034@azhar.edu.eg

ملخص البحث: يروم البحث إلى دراسة الصورة الكلية للحركة خروجًا من حيز الحركة في المفردات إلى رحابة الصورة في الآيات، في سياق سورة العاديات التي تزخر بالحركة من أولها إلى آخرها، مع تنوع التصوير القرآني لتلك الحركة فيها، فانطلقت السورة من تصوير حركة الخيل إلى تصوير حركة النفس، تماهت فيها الصورة الحسية مع المعنوية في تعانق معجب جمع بينهما رباط القَسَم الذي يشي بالنسب بين المقسم به والمقسم عليه، ثم ختمت السورة بتصوير حركة البعث في تكامل معجز بين المشاهد والغيبي، تناسق فيها الأداء التعبيري والإيقاعي مع التشكيل الصوري، فأوفت السورة حق المعنى في التصوير كما أوفت حق اللفظ في التشكيل، فجاءت الألفاظ بانسجامها الصوتي وجمالها التوقيعي وطاقتها الضافية لتتلاحم مع المعاني فكأنها تحكيها وتصورها.

فكان للتصوير القرآني للحركة أثر في الوحدة البنائية للسورة التي تجاوزت الوحدة الموضوعية الممثلة في بناء السورة على مقصد واحد إلى الوحدة الفنية الممثلة في وحدة التشكيل الصوري للحركة،والوحدة في التشكيل الإيقاعي والصوتي المصور لها،كل هذا جاء على طريقة القرآن الخاصة في التصوير، حاول الكشف عنه متذوق يعجز عن وصف حلاوته، أو الوقوف على طلاوته، فضلًا عن أنه يعجز بكلماته عن الارتقاء إلى عليائه، أو الولوج إلى سمائه.

الكلمات المفتاحية: التصوير القرآني، الحركة، الصورة، بناء المعنى، سورة العاديات.

The Qur’anic depiction of movement and its impact on constructing meaning Surat Al-Adiyat as a model

Muhammad Ibrahim Maghazi al-Habashi
Department of Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language, Itai El-Baroud, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: mohamedmoghazi.2034@azhar.edu.eg

Abstract: The research aims to study the overall picture of movement as a departure from the space of movement in the vocabulary to the spaciousness of the picture in the verses, in the context of Surat Al-Adiyat, which is full of movement from beginning to end, with the diversity of the Qur’anic depiction of that movement in it. The movement of the soul, in which the sensory image became separated with the moral in the embrace of an admirer who brought them together by the bond of the oath that indicates the proportions between the divided by and the divided by, then the surah was concluded by depicting the Baath movement in a miraculous integration between the viewer and the unseen, in which the expressive and rhythmic performance was consistent with the figurative formation, so the surah fulfilled the right The meaning in imagery also fulfilled the right of the word in formation, so the words came with their phonetic harmony, their signature beauty, and their additional energy to cohere with the meanings, as if they were told and visualized.

The Qur’anic depiction of movement had an impact on the structural unity of the surah, which transcended the objective unity represented in building the surah on a single purpose to the artistic unit represented in the unity of the graphic formation of the movement, and the unity in the rhythmic and vocal formation depicted for it, all of this came on the special method of the Qur’an in photography, he tried to reveal About him is a connoisseur who is unable to describe its sweetness, or stand on its brilliance, in addition to that he is unable with his words to ascend to his height, or to reach his sky.

Keywords: Quranic photography, Movement, Image, Meaning construction, Surat Al-Adiyat.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وصوَّره ، وخلق الكون ونوَّره ،وجعل كتابه كونًا مسطورًا، وكونَه كتابًا منظورًا، والصلاة والسلام على من جعله ربُّه الصورة الإنسانية الكاملة لكتابه ، وعلى آله وأصحابه، وبعد:

فلا يزال التصوير الفني يشكل حضورًا كبيرًا في الدراسات الأدبية؛ لما له من أهمية كبيرة في خلق العمل الأدبي تكوينًا وتلقِّيًا، فبه يُنقل الواقع ويُعاد نسجه بخطوطه وألوانه، وبه نقرأ هذا الواقع ونعيد إنتاجه، وبقدر تمكن المبدع منه ومن أدواته بقدر ما يستأثر بعقل المتلقي ولبِّه .

ولما كان القرآن الكريم صورةً للإنسان والكون، كان التصوير هو وسيلته الناجعة في نقل هذه الصورة حية حاضرة في الكون المسطور حضورها في الكون المنظور، وللحركة أهمية كبيرة في التصوير؛ فهي التي تدب في عروقه ماء الحياة ، فتزيد الحياة حياة.

وسورة العاديات تزخر بالحركة من أولها إلى آخرها، مع تنوع التصوير القرآني لتلك الحركة ، فنراها انطلقت من التصوير لحركة الخيل إلى تصوير حركة النفس ثم ختمت بتصوير حركة البعث ؛تماهت فيها الصورة الحسية مع المعنوية، وامتزجت الصورة العينية بالصورة الغيبية؛ لذا جاء هذا البحث الموسوم بـ (التصوير القرآني للحركة وأثره في الوحدة البنائية) دراسة تطبيقية في سورة العاديات

ويأتي هذا البحث امتدادًا لجهود السابقين الأوائل ،وخطوة آمل أن تضم إلى خطواتهم الصالحة في طريق كثر سالكوه ؛ فقد عني السابقون الأكارم بدراسة الصورة البيانية الممثلة في التعبير الاستعاري والمجازي في إطارها الجزئي الذي لا يتجاوز المفردات ، كما عنوا ببيان الصورة القرآنية في الأمثال والتشبيهات، ودورها في عرض الغيبيات في صورة العينيات، والعقليات في صورة المحسوسات.

وأما دراسة الحركة في القرآن الكريم فقد عني اللغويون والمفسرون بدراسة دلالات الألفاظ التي تدل على الحركة كما في (المفردات في غريب القرآن) للراغب الأصفهاني، كما عني البلاغيون ببيان قيمة هذه الألفاظ في تصوير المعنى وتجسيده من هذه الدراسات السابقة:

-البلاغة القرآنية في الإشارة والحركة الجسمية : أد.عبد الله محمد هنداوي، مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.وهذه الدراسة عنيت بدراسة ألفاظ الحركة بلاغيًا كحركة اليد وحركة الوجه وحركة الرأس والعنق وحركة الرجلين وحركة التمطي وحركة القلوب وبلوغها الحناجر، لكنها لم تخرج عن الصورة الجزئية للكلمات المعبرة عن الحركة ، ولم تتخط الآيات التي وردت فيها ، كما أنها لم تتعرض للصور الحركية مجال هذا البحث

-جماليات تصوير الحركة في القرآن الكريم ، د.حكمت صالح، سلسلة روافد، الإصدار ٣٣، شوال ١٤٣١هـ-٢٠٠٦م، وهذه الدراسة عنيت بمفردات الحركة وأنواعها في القرآن الكريم كالحركة الصاعدة (علا وصعد ورفع وعرج...) والحركة الهابطة (سجد وركع وهبط ونزل وهوى وخر ...) والحركة المقبلة (أقبل وجاء ...) والحركة المدبرة (أدبر ورجع وعاد وآب وفرَّ ...) واستطرد في أشكال الحركة كالدورانية (دور وحوط حول وطوق ولفَّ...) والحركة الاهتزازية (هزز وبسس وزلزل وزحزح وذبذب..) ثم انتقل إلى تلقي الحركة بالسمع والبصر ثم إلى مجالات الحركة كحركة الشمس في السماء وحركة النبات والحيوان في الأرض وحركة الإسراء والمعراج في التواصل بين الأرض والسماء والحركة التعبدية في الصلاة والحج ..

-جماليات الحركة في التعبير القرآني ، د.صالح ملا ، الموقع الالكتروني: https://ebook.univeyes.com وقد سارت على نفس نهج سابقتها ، وكلا الدراستين دارتا في فلك مفردات الحركة ، ولم تتجاوزا الصورة الجزئية لهذه الألفاظ . كما أنهما لم تخرجا من سياق الآية إلى سياق السورة ولم تتطرقا إلى سورة العاديات مجال البحث .

وتأتي أهمية هذا البحث في أنه دعوة لدراسة الصورة الكلية للحركة وأثر هذه الحركة في أداء المعنى والوفاء به في سياق السور، خروجًا من حيز اللفظة الحركية وسياق الآية إلى رحابة الصورة وسياق السورة ،مركزًا على تصوير الحركة أكثر من التصوير بالحركة، ومن هذه الصور الحركية: حركة الملائكة في مقدمة سورتي (الصافات والنازعات)، وحركة الريح في مقدمة سورتي (الذاريات والمرسلات) وحركة الخيل في مقدمة سورة (العاديات)، وهو باب عظيم لا تفي به صفحات هذا البحث على قلة زاده، وضعف مداده.

وقد اقتضت طبيعة البحث حسب مخرجاته أن يأتي في تمهيد ومدخل وخمسة مباحث تسبقها مقدمة وتقفوها خاتمة:

التمهيد : مصطلحات البحث

ويشتمل على :

المحور الأول: التصوير القرآني للحركة.

المحور الثاني :الوحدة البنائية.

المدخل:بين يدي سورة العاديات.

المبحث الأول : التصوير القرآني لحركة الخيل .

المبحث الثاني : التصوير القرآني لحركة النفس .

المبحث الثالث: التصوير القرآني لحركة البعث.

المبحث الرابع :التصوير الإيقاعي للحركة في السورة.

المبحث الخامس:أثر التصوير الحركي في الوحدة البنائية للسورة.

الخاتمة.

وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي القائم على رصد الظاهرة وتحليل عناصرها، وتوضيح خصائصها، فهو مجرد أداة للوقوف على معالم التصوير القرآني للحركة، واستنطاق أسراره والكشف عن أثره في الوفاء بالمعنى وتأديته، وبنائية السورة ووحدتها.

وبعد،

فهذا البحث إذا حالفه التوفيق والقبول فما هو إلا فضل الله وعونه ومدده، فإني أبرأ من حولي وقوتي وألتجئ إلى حوله وقوته، وإن كانت الأخرى فمن قصوري وعجزي أمام هذا البيان العليّ ، الذي حاول تذوقه متذوق لا يملك قدرة على وصف حلاوته، أو الكشف عن طلاوته ، فضلًا عن أنه يعجز بكلماته عن الارتقاء إلى علیائه، أو الولوج إلى سمائه. وحسبي أني أفرغت ما أملك من جهد، واستنفذت ما أجد من طاقة في التأمل والنظر، فأودعتُ فيه ما نمى إليه علمي، وبلغه فهمي، فالله أسأل ألا يحرمني أجر المجتهدين، وأن يرزقني الإخلاص والقبول .

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

الباحث

التمهيد

المحورالأول: التصوير القرآني:

التصوير مصطلح قديم جديد في الدرس الأدبي ،اختلفت عليه أقلام النقاد على اختلاف مشاربهم، وإن اتفقوا على أنه "الصوغ اللساني المخصوص الذي بوساطته يجري تمثُّل المعاني تمثُّلًا جديدًا ومبتكرًا بما يحيلها إلى صور مرئية معبرة"(١)، والتصوير بهذا المعنى لم يبعد كثيرًا عن الاستعمال اللغوي؛ فهو بصورته المصدرية للفعل (صوَّر) جاء مقرونًا بمصطلح (التمثيل) وهو:"تصويرُ الشيءِ كأنَّه تنظُر إليه"(٢)"والتمثيل مما يكشف المعاني ويوضّحها؛ لأنه بمنزلة التصوير والتشكيل لها"(٣).فالصورة " تمثيلٌ وقياسٌ لما نَعْلَمه بعقولنا على الذي نرَاه بأبصارنا"(٤)

وزادت أهمية التصوير في تأليف الكلام حتى صار مقياسًا لتفضيل الكلام بعضه على بعض لأن " سبيلَ الكلامِ سبيلُ التصويرِ والصياغةِ، وأنَّ سبيلَ المعنى الذي يُعَبَّرُ عنه سبيلُ الشيء الذي يقع التصوير والصَّوْغُ فيه، كالفضة والذهب يُصاغ منهما خاتَمٌ أو سوارٌ " (٥)، فأصبح "مؤلف الكلام كالبنَّاء والنسَّاج ، والصورة الذهنية المنطبقة كالقالب الذي يبنى فيه أو المنوال

---

(١) الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث،بشرى موسى صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩٤م، ص٣.

(٢) العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق: د.مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت ، مادة (مثل).

(٣) تفسير الزمخشري(الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل)،الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ،١٤٠٧هـ ، (٤٧٨/٣).

(٤) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر،مطبعة المدني ، القاهرة، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، (١/ ٥٠٨).

(٥) دلائل الإعجاز ، (١/ ٢٥٥).

الذي ينسج عليه ، فإن خرج عن القالب في بنائه أو عن المنوال في نسجه كان فاسدًا "[١]

والكاتب كالمصور كلاهما ناقل وكلاهما حاكٍ، إلا أن الأول ينقل مشاعر النفس إلى النفس، والثاني ينقل مشاهد الحس إلى الحس ، وكما أن ميزان الفضل في التصوير أن تكون الصورة والأصل كالشيء الواحد، كذلك ميزان الفضل في الكتابة أن يكون المكتوب في الطِرس خيال المكنون في النفس. [٢]

فالصورة خلق المعاني والأفكار المجردة، أو الواقع الخارجي من خلال النفس خلقًا جديدًا ؛ لتبرز إلى الوجود مستقلة عن حيز التجريد المطلق وتتخذ لها هيئة وشكلًا، يأتي على نمط خاص، وتركيب معين، بحيث تجري فيهما – على هذا النسق– الحياة والروح، والقوة والحرارة، والضوء، والظلال، والبروز والأثر [٣]

وطبيعة الصورة ينظر إليها من جانبين: الأول الصورة باعتبارها أنواعًا بلاغية فهي بمثابة انتقال أو تجوز في الدلالة لعلاقة المشابهة –كما يحدث في التشبيه والاستعارة بأنواعهما– أو لعلاقة تناسب متعددة الأركان –كما يحدث في الكناية أو أضرب المجاز المرسل، الجانب الثاني طبيعة الصورة باعتبارها تقديمًا حسيًا للمعنى، ولقد لاحظ النقاد علاقة الصورة بمدركات الحس، وقدرتها المتميزة على مخاطبة إحساسات المتلقي ، وإثارة صورة ذهنية

---

(١) مقدمة ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون ،تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت ،الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨، (٧٨٨/١).

(٢) النظرات، مصطفى لطفي المنفلوطي، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢، (١١١/٣).الطرس:الكتاب يمحى ثم يعاد فيه. ينظر: العين ،الخليل بن أحمد، مادة (ط–رس).

(٣) دفاع عن البلاغة، أحمد حسن الزيات ،مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٤٥ ص ٣٦.

في مخيلته[١]، وهذا الجانب هو مدار البحث ومجاله، لكن لا سبيل في هذا التمهيد للحديث عن التصوير الأدبي أو الصورة الشعرية؛ وقد نصب لها النقاد القدامى والمحدثون، وأفردوا لها أسفارًا وكتبًا[٢]؛ لذا خلص هذا التمهيدلإيجاز الحديث عن التصوير القرآني.

فالتصوير القرآني مصطلح له تفرده، خلع عليه القرآن الكريم من قدسيته، ومنحه من أسلوبه وطريقته؛" فالكلام القرآني بعضه مع بعض كالبنيان النوراني المرصوص، ولكل كلمة إشعاع مشرق فيه بحيث لو لم تكن يكون جزءًا ناقصًا من الأطياف للآيات القرآنية"[٣] ،وتقرأ القطعة من القرآن فنجد في ألفاظها من الشفوف، والملاسة والإحكام والخلو من كل غريب عن الغرض ما يتسابق به مغزاها إلى نفسها دون كد خاطر ولا استعادة حديث، كأنك لا تسمع كلامًا ولغات بل ترى صورًا وحقائق ماثلة[٤]؛ ولهذا الميل القرآني إلى ناحية التصوير، نراه يعبّر عن المعنى المعقول بألفاظ تدلّ على محسوسات ...وذلك أن تصوير الأمر المعنوي في صورة الشيء المحسوس يزيده تمكّنا في النفس وتأثيرا فيها[٥].

---

(١) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د.جابرعصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م،ص١٠.

(٢) ينظر:الصورة الأدبية ،د.مصطفى ناصف، دار مصر ،القاهرة ،١٩٥٨ م. وينظر:الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د.جابر عصفور، دار الثقافة ،القاهرة ١٩٧٤م، وينظر:الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، د.نصرت عبد الرحمن،مكتبة الأقصى ،عمان ، ١٩٧٦م.الصورة الأدبية تأريخ ونقد، د.علي علي صبح، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

(٣) المعجزة الكبرى (القرآن)، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٠م،ص٢٦٩.

(٤) النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن الكريم) ،محمد عبد الله دراز،دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص١١١ .

(٥) من بلاغة القرآن ، دأحمد بدوي ،مكتبة نهضة مصر ، الطبعة الثالثة ، ص٦٥.

وأما موضوعه فهو نسيج من الصدق الخالص، وعصارة من الحقيقة المصفاة، لا تشوبه شائبة من وهم أو خيال، إنه يبنى من لبنات الواقع بلا تزويق ولا تمويه...فالإعجاز والروعة إنما يتجليان في صدق الأداء، وفي نقل الواقع وما تلبس به من سرائر النفوس وخلجات الصدور. (١)

والتصوير القرآني يهدف إلى مخاطبة الحاسة بالقدر الذي يريده من التأثير في الروح والنفاذ إلى أعماق النفس، فالكلمات في القرآن الكريم " لا تكون مجرد جمل وعبارات ، بل تصبح آيات كالشمس والقمر وسائر الآيات الإلهية الأخرى، وتطوي هذه الآيات في جوانحها ما تطويه من الهداية والنور والمعاني ، والإجابات التي تتكشف عبر العصور بتكشف وظهور حاجات الأمم والعصور...حتى يمنحها حلولها ، وينهي مشاكلها ، فهو رائد لا يكذب أهله وقائد لا يخذل جنده ، وهادٍ لا تلتبس عليه السبل"(٢)

والقرآن الكريم يفتق أذهان المتلقي اليقظ بكلماته المصورة الموحية على تنوع صورها الحسية من سمعية وبصرية وشمية وغيرها من الصور التي تجمع الإحساس مع الوجدان، والكلمة القرآنية هي أداة التصوير فقد تنقل الكلمة صورة سمعية ، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾ [فاطر: ٣٦] ،ففي التعبير القرآني بالفعل (يصطرخون) استحضار لصورة دعاء أهل النار ربهم أن يخرجهم منها ، دعاء المستغيث الذي لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه العذاب فيستريح، فعبر بالصراخ الدال على شدة الصوت وارتفاعه، ثم بنى الفعل المضارع- الدال على التجدد والحدوث واستحضار الصورة حضور المعاين المخابر-على صيغة الافتعال الدال على

---

(١) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب ،دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥/١٩٧٥م، ص٩.

(٢) الوحدة البنائية للقرآن المجيد، د.طه جابر العلواني،مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ، ص٢٤-٢٦.

المفاعلة والمشاركة ليعكس صورة الاستغاثة والصراخ التي تشارك فيها أهل النار جميعهم ، وزاد الفعل مبالغة بإبدال التاء طاء بما تحمله الطاء من قيمة صوتية تتوافق مع القيمة الدلالية والإيحائية لحالة الصارخ ،وهذه الصورة تطلبها السياق واستدعاها الحال وهذا منهج القرآن الكريم في أنه لا يقصد إلى التصوير لذاته، ففي قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧] فالفرق ظاهر بين التعبير بالنداء في هذا المشهد والتصوير بالاصطراخ في المشهد السابق، عبر هنا بالنداء وهو أخف من الصريخ لوجود الرجاء والطمع في موتهم أو التخفيف عنهم.

وقد تتجاوز الكلمة الصورة سمعية لتتشبع بدلالات حسية أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: ١٩] ،فالتعبير القرآني بالفعل (سلق) يجمع في طياته صوراً حسية تتجاوز الصورة السمعية التي نجدها في ذكر المعايب باللسان والذم والقدح ، فكلمة(سلقوكم) تعني :استقبلوكم[١] فهي تصور هيئة المنافق حالة الغنم مع الأمن، فهو أحرص الناس على استقبال الغنائم والظفر بها ،في حين أنهم في حالة الخوف أجبن الناس، كذا يحمل الفعل صورة المنافق في حالة السلم وأثر لسانه على المؤمنين،فالسلق : بسط بقهر..وفيه معنى السليقة أي السجية والطبيعة[٢] يقال : "سلقه بالكلام سلقًا إذا آذاه،وأسمعه ما يكره ، وقيل سلقوكم أي :عضوكم" [٣]، وزادت الصورة أثرًا وصف الألسنة بلفظ (الحداد) الذي

(١) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي ، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، د.ت ، (٢/ ٣٧).

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزبادي، تحقيق:محمد على النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦هـ /١٩٩٦م، (٣/ ٢٤٩).

(٣) ينظر:لسان العرب،ابن منظور،دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ ، مادة (س-ل-ق)،(١٠/ ١٦٠).

يحمل في طياته معنى الحدة والقوة فيصير اللسان أحد من السنان؛ ليعكس أثر الكلام من الجراح والطعان التي تصيب النفوس فتجرحها.

وقد تنقل الكلمة صورة بصرية كما في قوله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ٥٣﴾ [الكهف: ٥٣]

فجاء التصوير القرآني بكلمة (مواقعوها) لتحكي صورة متخيلة في ذهن المجرم عند رؤية النار من بعيد لماَ فِي الْحَدِيثِ:«**إِنَّ الْكَافِرَ لَيَرَى جَهَنَّمَ وَيَظُنُّ أَنَّهَا مُوَاقِعَتُهُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً**« [(١)] وهذه الصورة الذهنية مما لم يقع ولم يدركه الحس؛ لذا عبر بظن اليقينية[(٢)]، وكذلك لأن هذه الصورة من علم الآخرة وهي إلى جانب علم الدنيا كالظن بجانب اليقين وهذا اليقين لا يكاد يحصل إلا للنبيين والصديقين [(٣)]ونقلها بالفعل المصور للمشهد (مواقعوها) ، فلم يعبر بقولنا: (واقعون)الذي يفيد السقوط في الشيء؛ لما في المواقعة من شدة المخالطة ؛"فإن مخالطة الشيء لغيره إذا كانت قوية تامة يقال لهما مواقعة"[(٤)] ، وهذه الملابسة يؤكدها ختام الآية بنفي العدول عنها فكما أنهم يساقون إليها فهم مجذوبون لها .كذلك التعبير بصيغة المفاعلة التي تحمل معنى المطاوعة فهم منساقون لها مستسلمون في انقياد وخضوع.

الحركة في القرآن الكريم:

الحركة في القرآن الكريم لها أفانين شتى فقد تأتي الحركة لتصوير المعنى وتمثيلة في صورة حسية مشاهدة وهذا كثير في القرآن، وقد يأتي

---

(١) ينظر:مسند الإمام أحمد بن حنبل ،تحقيق:شعيب الأرناؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، د.ت،من حديث أبي سعيد الخدري رقم (١١٧١٤).حسن لغيره.

(٢) ينظر:البحر المحيط في التفسير، ابن حيان التوحيدي،(١٩٢/٧).

(٣) ينظر: المفردات للراغب الأصفهاني ، ٤٧٥/٢١).

(٤) تفسير الرازي،(٤٧٥/٢١).

التصوير لبيان الحركة الحسية للموجودات ورصد أجزائها والتئام عناصرها واتساقها .

فالنوع الأول :التصوير بالحركة :وتأتي فيه الحركة لتنقل المعاني العقلية إلى صورة حسية تدب فيها الروح فتبعثها من التجريد إلى مدارك الإحساس؛ لتكون أعلق بالذهن وأرسخ في الفؤاد ، وهذا النوع مطرد في القرآن الكريم والأمثلة عليه كثيرة، ومن أمثلة ذلك ما جاء في الصور المفردة :

فعل (الثني) الذي يصور حركة ضم الشيء إلى بعضه "وأَصله مِنْ ثَنَيت الشَّيْءَ إِذا حَنَيْته وعَطَفته وَطَوَيْتَهُ" (١) ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾ [هود: ٥] ، فالفعل(يثنون) يصور إضمار المنافقين لعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم لكن في صورة حسية تجسد معنى الإخفاء والستر،فعكست حركة ثني الصدر ما انطوت عليه النفوس من عداوة ، وفيها معنى الضيق الذي يصور ضيق صدور المنافقين التي امتلأت بالعداوة للرسول حتى أنها لا تتسع لشيء من المحبة التي يتظاهرون بها، فالطوي هنا لصفة الكراهية والعداوة.

ومنه ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ [الحج: ٨-٩] فحركة الثني هنا طوي لصفة الكبر التي تمنع المجادل في الله بغير علم أن يرى الحق وأن يبصر الهدى ، وجاءت حركة ثني العطف (العنق أو الجانب) تجسيد لمعنى الإعراض عن الحق ومجانبته بعد وضوح بيانه.

ويأتي التصوير بالحركة في الصور المركبة للمعاني العقلية ومن أمثلة ذلك : تصوير حال المشرك في ترديه من سماء التوحيد إلى مهاوي الشركاء

(١) لسان العرب، ابن منظور،مادة (ث-ن-ي)(١٤/١١٥).

وتخطفهم في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١]

فصورة المشرك في ضلاله الذي يودي بصاحبه إلى المهالك صورة عقلية، عكستها أفعال الحركة (خرَّ–فتخطفه–تهوي) في صورة حسية مشاهدة، فالفعل (خرَّ) تصوير لهيئة الحركة ، يقال :" خر يخر خرا إذا هوى من علو إِلَى سفل. وكل وَاقع كَذَلِك فقد خر.وخر الْحَائِط وَمَا أشبهه وَكَذَلِكَ الرجل إِذا سقط وَهُوَ قَائِم على وَجهه"[(١)]، ثم يزيد السقوط سرعة وتهويلًا بجعله من السماء، كذلك يحمل الفعل خرَّ في طياته معنى " اضْطِرَابٌ وَسُقُوطٌ مَعَ صَوْتٍ"[(٢)]،لتنعكس صورة الحركة المضطربة على صورة السقول من سماءالتوحيد إلى سفول الشرك،ثم يأتي الفعل (فتخطفه)بما يوحيه من سرعة الأخذ والجذب باسناد الخطف لمن هو أمكن في الحركة ومعهود منه الخطف والافتراس كالنسور والصقور التي تخطف الفرائس وتنهش لحومها،لتجمع مع حركة السفول والتخبط حركة الخطف بما تحمله من معنى الافتراس والتردي بما يحمله لفظ الطير بمعناه الجمعي من رمزية الشركاء تارة والأهواء تارة أخرى ، ثم يأتي الفعل الثالث(تهوي) إنماء للصورة الحسية المشاهدة التي تفضي بصاحبها إلى التردي في المجاهل البعيدة الغائرة .

ومن هذه الصور صورة النفاق التي صورها القرآن الكريم في مشهدين متكاملين الأول في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١] فالآية الكريمة تصور حالة نفسية للمنافق الذي يتردد بين الإيمان والكفر، عرضتها في صورة حسية لشخص

(١) جمهرة اللغة،ابن دريد ، تحقيق:رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م،(١٠٤/١).

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس، (١٤٩/٢).

يقف على حد فاصل بين أهل الإيمان والكفر يدور وجهه بينهما أينما دارت المنفعة، فهذا "مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم، لا على سكون وطمأنينة، كالذي يكون على طرف من العسكر، فإن أحسّ بظفر وغنيمه قرّ واطمأن، وإلا فرّ وطار على وجهه"(١).

ويأتي التصوير من خلال المفارقة بين الحالين في التعبير القرآني بين (على حرف) وبين (انقلب على وجهه)؛ فالحرف في الاستعمال اللغوي(٢) تعني الوجه ، ويأتي تصوير حركة النفس بالفعل (انقلب) لتجسيد حالة الارتداد عن الإيمان في وقت الشدة بصورة المنقلب على وجهه؛ لأن المنافق لا تهفو نفسه إلا على الغنيمة من عرض الدنيا، وهذا ما ظهر جليًا في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [النساء: ٧٢-٧٣] فالآية الكريمة تصور تلك الحالة النفسية للمنافق الذي لا يفرح بالإيمان إلا مع الظفر بالغنيمة والأمن والسلامة ويفرح إذا ظفر بهما ويندم الندم الكثير إذا فاته شيء منهما.

ويأتي المشهد الثاني في صوة حسية تغلفها الحركة لتصوير بطلان عمل المنافق وعاقبته في قوله تعالى: ﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ١٠٩]

يستحضر القرآن الكريم هذه الحرفية السابقة في تصوير بطلان الأعمال التي بنيت على أساس النفاق، وذلك بتصوير الأعمال بالبنيان الذي أقيم على حرف حفرة ،على أرض تجرفها السيول فهي لا تثبت فتهوى بما

(١) الكشاق غن حقائق غوامض التنزيل ، الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثالثة، – ١٤٠٧ هـ (١٤٦/٣).

(٢) ينظر :السابق ، (٤٢/٢).

عليها، "فجيء بلفظ الانهيار الذي هوللجُرف؛ ليصور أن الباطل كأنه أسس بنيانه على شفا جُرف هار من أودية جهنم فهوى به ذلك الجُرف فهو في مقرها"[١]

أما النوع الثاني :وهو تصوير الحركة الحسية ،وهو على ضربين:

الضرب الأول :التصوير الجزئي للحركة: ويأتي على مستوى الكلمة التي تحمل معنى الحركة،وتحمل مع الدلالة الحسية للحركة دلالات أخرى ، كالدلالة النفسية ومن أمثلة ذلك:

ما جاء في الفعل(طرد) الذي يحمل مع حركة الإبعاد دلالة الاستخفاف بالشيء[٢] كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢]، فالسياق التنزيلي يؤكد تلك الدلالة النفسية التي تحملها الكلمة في دلالتها المعجمية ، فقد روي "عن ابن مسعود –رضي الله عنه– ، قوله: " مر الملأ من قريش بالنبي ﷺ وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء من قومك، هؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا، أنحن نكون تبعا لهؤلاء؟ اطردهم عنك، فلعلك إن طردتهم أن نتبعك، فنزلت هذه الآية"[٣]

وجاء تصوير الحركة بالفعل(طرد) الذي يصور نفسية كفار مكة في استخفافهم بضعفاء المؤمنين ، كما أنه يعكس استعلاءهم واستكبارهم

---

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د.عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة،الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م (٤٧٢/١).

(٢) ينظر:المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ،تحقيق:صفوان عدنان الداودي، دار القلم–الدار الشامية، دمشق –بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ص٥١٧ م.

(٣) تفسير الطبري، (٢٥٨/٩).

واستنكافهم أن يشاركهم الضعفاء في مجالسهم أو ينال غيرهم العناية والاهتمام؛ لذا جاء الأمر للنبي ﷺ بملازمة هؤلاء الضعفاء وكمال العناية بهم في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف: ٢٨]

ومن ذلك ما جاء في الفعل (طرح) الذي يحمل مع حركة الإبعاد دلالة الاستغناء عن الشيء وعدم الحاجة له [(١)] كما في قوله تعالى: ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ [يوسف: ٩] ، فلم يعبر بفعل حركي آخر غير الطرح كالطرد مثلًا لما في معنى الطرح من معنى إلقاء الشيء وإبعاده مع استغنائهم عنهم فلا حاجة لهم بغلام صغير وهو العصبة الأقوياء الذين يقومون بشئون الأسرة ومتطلباتها، فقد ملأ الشيطان صدورهم حسدًا من أخيهم الصغير لما رأوا من قربه منه وتعلقه به وحب ملازمته، فهم لا يريدون سوى الإبعاد، وهو ما أكده السياق بقوله: (يخل لكم وجه أبيكم)؛ لأن "يوسف شغله عنا وصرف وجهه إليه فإذا أفقده أقبل علينا بالميل والمحبة"[(٢)]

وهذه الأنواع السابقة عنيت بها كتب علمائنا الأكارم ، ونهد لها كثير من الباحثين ؛لذا سيكتفي التمهيد بهذه الإشارات لأنه لا سبيل في هذه الصفحات القليلة الاستطراد فيها .

الضرب الثاني: التصوير الكلي للحركة: ويأتي على مستوى الجمل والآيات لأشياء حركية حسية صورها القرآن الكريم ووظفها لتحقيق غايات التنزيل، ولفتح آفاق التأويل بما تحمله أجزاء الصورة من طاقات إيحائية وصوتية

(١) ينظر: تهذيب اللغة ،الأزهري، تحقيق :محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م ، مادة (ط-ر-ح)، (٢٢٢/٤).

(٢) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير)، الرازي، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ،١٤٢٠هـ ، (٤٢٤/١٨).

تتكامل لرسم الصورة، على نحو ما نجد في تصوير حركة الملائكة في مقدمة سورة (الصافات)و(النازعات)، وتصوير حركة الريح في مقدمة سورة(الذاريات) و(المرسلات)، وتصوير حركة الخيل في مقدمة سورة (العاديات) وهذا الضرب هو ما عني به البحث وانطلق منه .

والناظر في هذه الصور الحركية يجد أنها توافقت في موضعها في فواتح السور ، ومجيئها على نفس النسق بناءًا وإيقاعًا ، ووقوعها في موضع المقسم به على مقصد السورة، إلا أنها تنوعت دلالتها بتنوع المقصد الذي يظهر في جواب قَسَمها.

ففي سورة الصافات جاءت الصورة الحركية للملائكة متوافقة مع المقصد الأسمى للسورة الكريمة ، يقول تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ﴾ [الصافات: ١-٤] ،فجواب القَسَم توحيد الإله جل وعلا؛ لذا جاء التعبير عن الحركة بلفظ الصافات دون غيره من الألفاظ لما يحمله معنى الصف من الوحدة والانتظام على نسق واحد ، ثم ينفتح دلالته باستحضار معنى الصافات بأنها الملائكة النموذج الأعلى في الانتظام والتوحيد للإله سبحانه وتعالى ، وهذا ما صرحت به السورة الكريمة حكاية على لسان الملائكة :(﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ۝١٦٤ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ۝١٦٦ ﴾ [الصافات: ١٦٤-١٦٦]

وقد اختلفت الصورة الحركية للملائكة في سورة النازعات بما يتوافق مع مقصد السورة ، فمقصد السورة الإنذار والوعيد بأحداث يوم القيامة ؛ لذا جاء التعبير عن الحركة بلفظ(النازعات) الذي يشي بنزع الروح بشدة ، يقول تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴾ [النازعات: ١-٦]

ولما كان مقصد السورة يحمل الوعد والوعيد وظف القرآن الكريم صورة الحركة التي تناسب هذا المعنى.

كما نجد في تصوير القرآن الكريم لحركة الريح في سورة الذاريات في قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ۝٦﴾ [الذاريات: ١-٦] ،فثنائية الوعد والوعيد، النفع والضر محققة في صورة الريح الذاريات، وصرحت بها السورة الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] .

وكذلك نجده في سورة المرسلات التي جمعت الصورتين الإرسال رحمة ووعدًا، والعصف عذابًا ووعيدًا في قوله تعالى : ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ﴾ [المرسلات: ١-٧] .

والدارس لهذه الأساليب المتنوعة –بعد تتبعها –تتضح له حقيقة من وراء هذا التنوع في وسائل التعبير القرآني وهي أن القرآن الكريم في خطابه لم يدع وسيلة في الدعوة إلى الله أو تقويمًا للنفوس إلا وقد اتخذها لتكون سبيلًا إلى الإقناع العقلي والتأثير الوجداني[١]

❁❁❁

(١) النقد الأدبي (دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن)، أ.د.صلاح الدين محمد عبد التواب ، دار الكتاب الحديث ،طبعة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣، (٣/٣).

المحور الثاني: الوحدة البنائية

بدأت بذور الوحدة البنائية لسور القرآن الكريم تنمو بعد جيل التلقي، وذلك لأن جيل التلقي جيل فطري مطبوع يعرب بالسليقة قبل أن يُخلق النحاة ويؤسسوا قواعد النحو، ويدرك مواطن التحدي وحقيقة الإعجازبالفطرة السليمة، فكانت تشعر بها العقول والقلوب لكن لم تجر بها الألسنة ولم تتحرك بها الأقلام، فهو ليس في حاجة إلى القواعد والقوانين والنظريات، لكن لما ضعفت السليقة واختلطت الفطرة دعت الحاجة إلى وجود القواعد والتدوين للكشف عن مناط التحدي والإعجاز، فاحتضنت تلك البذور نظرية النظم ومدونات دلائل الإعجاز والتفسير الموضوعي والتناسب البياني ، حتى غدت الدراسات القرآنية تُعنى بنظم السور وترتيب آياتها والترابط فيما بينها حتى أصبح ارتباط آي القرآن بعضها ببعض- كالكلمة الواحدة متسقة المباني منتظمة المباني- علمًا عظيمًا كما تنبأ به ابن العربي في القرن الخامس الهجري. (١)

وقد تجاوز الأمر فقه موقع الآيات للوصول إلى المعاني الكلية في السورة إلى فقه موقع السورة على مدرجة سياق المعنى الكُلِّيِّ للقرآن الكريم وهى مدرجة متصاعدة، فإذا المعنى القرآني فى حركة نمَاءٍ متكامِلٍ، فكلُّ سورة تتلو أخرى يكون فيها من المعانى الكلية والجزئية ماهو مؤكِّدٌ لسابقتها مؤسس للاحقتها (٢)

وقد عني أسلافنا الأكارم بهذا العلم حتى راجت سوقه، وعلا صيته حتى أصبح ينظر للسورة مهما تعددت موضوعاتها على أنها بنية واحدة بنيت

---

(١) ينظر:الوحدة البنائية للقرآن المجيد، د.طه جابر العلواني،مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ، ص٣٨-٤٥

(٢) ينظر: العزف على أنوار الذكر(معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في السورة)، د.محمود توفيق سعد، نسخة الكترونية على المكتبة الشاملة ، ١٤٣١هـ، ص٣٢، وما بعدها.

على عمود واحد يربط بين هذه الموضوعات ، كذلك نظروا للقرآن كله كأنه سورة واحدة أو وحدة واحدة ، توج بسفر البقاعي رحمه الله الموسوم ب(نظم الدرر في تناسب الآي والسور)، وسفر سعيد حوى الموسوم بـ(الأساس في التفسير)

والوحدة البنائية التي يتغياها البحث تتجاوز الوحدة الموضوعية الممثلة في مقاصد السور إلى الوحدة الفنية الممثلة في وحدة التشكيل القصصي في السورة ، أو وحدة التشكيل الصوري ، ووحدة التصوير الإيقاعي والصوتي، وغيرها من الصور الفنية التي تمثل إشارات على الطريق تهدي المتلقي لحركة المعنى، وتساعد في الكشف عن الوشائج والصلات التي تكون كالسلك الذي تنتظم فيه المعاني وتتساوق به المباني.

وقد أشار شيخنا أبو موسى– حفظه الله – في دراسته لأمثال سورة النور إلى أن دراسة تشبيهات سورة من سور القرآن دراسة متأنية جديرة بأن تكشف الوشيجة الجامعة بين هذه التشبيهات ...لأن رموز السورة وصيغها وصورها ترجع إلى ما يشبه أن يكون أبا واحداً هو المحور الذى تدور حوله ولابد أن يكون فى كل هذه الصيغ وهذه الرموز وهذه الصور نفس واحد يجمعها ويؤلف بينها ويجعلها عائلة واحدة ذات سيما وملامح متقاربة والبحث الواعى الفطن هو الذى يقع على هذا"[1] .وجاء هذا البحث نبتة من بركاته أسأل الله لها التوفيق والقبول.

(١) ينظر: دراسة في البلاغة والشعر، د.محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص ٢١، وما بعدها.

المدخل: بين يدي سورة العاديات:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ۝٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ۝٥ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ * أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ۝١١﴾ [العاديات: ١-١١]

السورة في الترتيب التنزيلي:

سورة العاديات مكية باختلاف، وآياتها إحدى عشرة آية، وترتيبها التنزيلي الرابعة عشرة نزلت بعد العصر وقبل التكاثر[١] ولا يخفى ذلك التناسب الموضوعي بين السور الثلاث فقد جاءت في سياق تنزيلي واحد وهو بيان حال الإنسان[٢] ، وقد تدرجت من الإجمال في بيان حال الإنسان في سورة (العصر) إلى التفصيل في سورة (العاديات) وسورة (التكاثر) ، وبين الثلاثة رباط وثيق ؛ فالعاديات والعصر اتحدتا في بناء هذا المعنى على القَسَم وجوابه ففي العصر جاء جواب القَسَم قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ [العصر:٢] ،وفي سورة العاديات جاء جواب القَسَم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦﴾ [العاديات: ٦]، فالعاديات فصلت سبب خسران الإنسان الذي أجملته سورة العصر. والعاديات والتكاثر اتحدتا في تفصيل المعنى فهما في بيان أسباب خسران الإنسان "لإيثار الفاني من العز والمال

---

(١) التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤ هـ، (٣٠/٤٩٧).

(٢) ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن ، أحمد بن إبرهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، تحقيق:محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠ م، ص٣٧٤.وينظر:الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي، (٣/٥٠).

على الباقي عند ذي الجلال... ومقصود التكاثر التصريح بما أشارت إليه العاديات من أن سبب الهلاك يوم الجمع الذي صورته القارعة، الجمع للمال، والإخلاد "[1]

فإذا كانت العاديات من معانيها الشواغل التي تقطع الإنسان عن ربه كما سيأتي ، فإن سورة التكاثر أكملت هذا المعنى المجمل في افتتاحها الخبري بقوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر: ١-٢] ، ولا يخفى ذلك التعانق بين معنى الشواغل المشتمل على معنى التعدي ومجاوزة الحد ومعنى الإلهاء الذي يلهي الإنسان حتى يدركه الموت فيكون من أهل القبور، كذلك التعانق بين السؤال في سورة العاديات في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩﴾ [العاديات: ٩] والجواب في سورة التكاثر في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥﴾ [التكاثر: ٣-٥]

السورة في الترتيب الترتيلي:

وأما الترتيب الترتيلي فهي السورة المائة في الرسم القرآني جاءت بعد الزلزلة وقبل القارعة، وهما –الزلزلة والقارعة– لبيان أعمال الإنسان وجزائها في الآخرة وتقسيم الإنسان إلى ناجٍ وهالك ؛ لذا جاءت سورة العاديات ببيان الطبع الذي يودي بصاحبه إلى المهالك معرضًا بجلاء هذا الطبع يوم القيامة[2] ، لما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ [العاديات: ٩-١٠] وكان ذلك مظنة لأن يسأل متى ذلك، فقيل

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور،البقاعي،مكتبة المعارف ، الرياض،الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧م(٣/٢٣٧، ٢٤١).

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات، البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د.ت ، (٢٢/٢١٠).

يوم القيامةالهائل الأمر، الفظيع الحال، الشديد البأس والقيامة هي القارعة[١]، كما لا يخفى التناسب بين تحصيل ما في الصدور وبين ختام الزلزلة في رؤية مثقال الذر من الخير أو الشر في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٦-٨]

كما لا يخفى ذلك التناسب الترتيلي بين السور الثلاث في الإيقاع القصير المتتابع السريع الذي يقرع الآذان لشدة ما يعرض من خطوب وأهوال.

(١) البرهان في تناسب سور القرآن، ،ص٣٧٤.

المبحث الأول: التصوير القرآني لحركة الخيل[1]:

إذا كان التصوير نقل الواقع في صورة نصية، فإن التصوير القرآني في نقله للواقع يتخطى محدودية هذا الواقع إلى شمولية الخطاب وعالميته ، فصورة الخيل التي تنقلها سورة العاديات مستمدة من البيئة، لكنها صورة تأبى التقييد الزماني والمكاني، فهي صورة خالدة بخلود هذا الكتاب المجيد، حاضرة في زمان الناس هذا حضورها في زمان نزولها، كما تتسع لها مخيلة أهل الحواضر والبوادي فلا يصعب على أحد استدعائها مهما كانت بيئته ومهما كان عصره، وهذا من عالمية الخطاب القرآن وخاتميته، ومن لطيف النظم القرآني أن ينتخب الخيل لرسم الصورة الحركية وهي في زمان الناس اليوم بعد مر الدهور صارت مضرب الأمثال في قياس المحركات وشدة حركتها (وحدة الحصان) .

ولأهمية الصورة الحركية للخيل في أداء المعنى والوفاء به انتخبت هذه الصورة لتكون علامة يتلقاها القارئ على رأس السورة إشارة إلى مقصدها ؛لأن "اسم كل سورة مترجم عن مقصودها؛ لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه، عنوانه الدال إجمالًا على تفصيل ما فيه"[2].

وأهمية العنوان تنبع من كونه يشكل أول اتصال نوعي بين المرسِل والمتلقي في رسالة تجسد أعلى اقتصاد لغوي؛ لتفرض أعلى فعالية تلقٍ

---

(١) العاديات: الخيل قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعطاء وأكثر المحققين ، وذهب البعض أنها الإبل وهو رأي مرجوح؛ فالسياق يرجح أنها الخيل ؛لأن الضبح لا يكون إلا للفرس، والقدح يظهر بحوافر الفرس مالا يظهر بخف الإبل.ينظر :مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، الرازي ، (٢٥٩/٣٢).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة، د.ت، (٨١/١-٩١).

ممكنة[١]، والعنوان يصل عمله بمتلقيه حتى لا يكاد يتمكن هذا المتلقي من الوصول إلى العمل إلا عبر فعاليته الخاصة في تلقي العنوان الذي يحمل بشكل ما من الأشكال خصوصية عمله داخل بنيته النصية ،فيدخل المتلقي إلى العمل مزودًا بأحد أهم مفاتيحه[٢].

ولما كانت العناوين علامة على المضامين ، فإن اسم (العاديات) تاج على رأس السورة يشير إلى معناها المركزي حاملًا رسالة النص بصورة رامزة موحية تفتح آفاق التلقي بما تحمله من دلالات وبما تتسع به مخيلة المتلقي من هيئات .

فاسم السورة–التوقيفي أو التوفيقي[٣]– غاية في الإيجاز والإعجاز، فعلى الرغم من محدوديته اللفظية– فهو لا يتجاوز الكلمة الواحدة –إلا أنه يتميز بالانفتاحية الدلالية والصورية بطريقة إيحائية تبعد عن التقريرية والمباشرة، فالسورة لم تُسمَّ بالخيل أو نحوها وإنما سميت بـ(العاديات) ؛ ليجمع الاسم مع الصورة الحسية الحركية دلالات أخرى تتناسب مع الغرض الديني والمقصد الأسنى للسورة، فـ(العاديات) أُشربت بمعانٍ تتلاقى مع العَدْو بمعنى الجري الشديد، منها: التعدّي في الأمر، وتجاوز ما ينبغي له أن يقتصر عليه، كذلك تحمل في طياتها معنى المكروه يقال:"كُفَّ عنّي يا فلانُ عاديتَكَ، وعادية شرّك، وهو ما عَداك من قِبَلِهِ من المكروه ، ، فالعادية :الخيل المغيرة

(١) ينظر: سيمياء العنوان ، أ.د.بسام قطوس ، وزارة الثقافة ، عمان الأردن ، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص ٦٣.

(٢) ينظر :العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي،د. محمد فكري الجزار،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٨م، ص٨٦.

(٣) اختلف أهل العلم في أسماء السور هل هي توقيفية أم توفيقية؟والراجح أن جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار .ينظر :الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي، (١٨٦/١).

كما أنها شُغْلٌ من أشغال الدّهر تَعْدوك عن أمورك [1]فهذه المعاني لها مع العَدْو وشائج وزلفى، ولها مع مقاصد السورة قربى، وباستدعاء المعاني المعجمية لتحليل (العاديات) نجد أنها جمعت بين الصورة الحسية الممثلة في حركة الخيل العاديات ،وبين الصورة المعنوية الممثلة في بيان حال الإنسان وشواغله العاديات، وجمعتهما مع الصورة الغيبية الممثلة في البعث لتحصيل ما في الصدور من العاديات ، فجاء التصوير بصوره الحسية والمعنوية والغيبية في كلمة امتزجت فيها تلك الصور ؛ لذا انتخبت الكلمة عنوانًا للسورة الكريمة، وهذا من بديع التصوير القرآني بالكلمة.

ثم ينتقل القارئ للسورة الكريمة من عنوان السورة- الذي يحمل في طياته التشويق لقراءة السورة والبحث عن تأويل العنوان- إلى مقدمة السورة التي تفتتح بالقَسَم بما يحمله من سلطة التأكيد والتهديد،وتهيئة وسائل الإدراك والاستجابة عند المتلقي لما سيأتي في جوابه، يقول تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ [العاديات: ١-٥]

فمقدمة السورة الكريمة تنقل مشهدًا مركبًا من عدة صور متتابعة تتسابق فيها الكلمات في الذهن تسابقها في الحس، وتتضافر المعاني في تشكيل الصورة ونسج خيوطها، في خمس آيات تعرض ثلاث صور:

الصورة الأولى : قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴾

فعلى الرغم من محدودية الصورة اللفظية إلا أنها تتميز بانفتاحيتها الدلالية والتشكيلية ؛ فالعاديات كلمة مكثفة مشعة تتسع لتشمل كل عادية سواء أكانت خيلًا أم إبلًا أم أي متحرك يعدو ، كما أنها تحمل في طياتها طبيعة الحركة ومجاوزتها للحد المعروف حتى توصف بالعدوان ، وقد جاءت معرفة

(١) ينظر: العين،الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مادة (ع-د-و) ، (٢/٢١٤).

بـ (أل) التي للعهد وكأنها تشي بأن العاديات معهودة لدى القوم ألفوها بصفاتها التالية في كل زمان ومكان، سبقتها واو القسم التي تعلي من قدرها وتعظم من شانها.

كما أنها جاءت بلفظ الجمع؛ لتحتشد الصورة بأكثر من عادية، وجاءت بلفظ الاسمية؛ لتحمل معنى الثبوت والدوام، فتشي بأنها حركة ثابتة ولازمة لها، فهي من طبيعتها وطبيعة خِلقتها.

وفي تعلق العاديات بالضبح "وهو صوت أنفاسها إذا جهدت في الجري"[(١)]إنماء للصورة البصرية في حركة الخيل وامتزاجها بالصورة السمعية؛ فالضبح له في الاستعمال اللغوي" أصلان صحيحان:أحدهما صوت، والآخر تغير لون من فعل نار"[(٢)] فهي تحكي صوت أنفاسها واشتداده الناشئ من سرعة العدو، فكأنه" قيل: والضابحات ،لأن الضبح يكون مع العدو"[(٣)] كما أنها تصور تغير لون وجهها من "قَوْلِ الْعَرَبِ: ضَبَحَتْهُ النَّارُ: إِذَا غَيَّرَتْ لَوْنَهُ ..وقولهم: وَانْضَبَحَ لَوْنُهُ: إِذَا تَغَيَّرَ إِلَى السَّوَادِ قَلِيلًا" [(٤)] ،فهذه الصورة " تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة

(١) تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، الثعلبي، ط دار التفسير، تحقيق:عدد من الباحثين (٢١) مثبتة أسماؤهم بالمقدمة (صـ ١٥)،دار التفسير، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م (٣٠/ ١٦٩).

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق :محمد عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، **١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م**. مادة (ض،ب،ح).

(٣) تفسير الزمخشري، (٤/ ٧٨٦).

(٤) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة ،الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، (١٥٤/٢٠).

من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعًا من الثمر ""[١].

فهذا الامتزاج بين العدْو والضبح تكامل بين صورتين (العاديات عدوا) (الضابحات ضبحًا) فهما متلازمتان فالضبح كما ذكر لا يكون إلا مع العَدْو الشديد ، وهو يشي بأن العاديات تبذل أقصى ما في وسعها ، وتفرغ ما في طاقتها وصولًا إلى غايتها.

كما أن تصوير الحركة بالعَدْو دون غيره؛ لما يحمله من معنى العدوان والتعدي الذي يشي بمجاوزة الحد في الحركة وهي الصفة الغالبة في هذا السياق.

الصورة الثانية :في قوله تعالى: ﴿فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا﴾

لما أظهر القرآن الكريم أثر العَدْو السريع على الخيل العادية في اشتداد أنفاسها وتغير لون وجهها ، أظهر أثره في المكان على الرغم من قسوته وشدته، فجاء التعبير القرآني بكلمة (الموريات) بما يحمله الإيراء من معنى الاستخراج يقال : "ورَى الزَّندُ: خَرَجَتْ نارُه، وأَوْراه غَيْرُهُ إِذا اسْتَخْرَجَ نارَه"[٢] ، وفي تعلق القدح بالموريات مبالغة في الاستخراج فالْقَدْحُ:التأثير في الشيء، واستخراج ما بقي فيه بجُهد[٣] ،وهذا يعكس أثر الحركة وشدتها في المكان ، ويحكي صوت اصطكاك حوافر الخيل بالصخور، ويستدعي صورة الشرر المتطاير منها ، وفيه رمزية بلوغ الغاية وتحقيق المراد.

الصورة الثالثة :في قوله تعالى: ﴿ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا﴾

(١) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق:محمودمحمد شاكر،مطبعة المدني بالقاهرة ، د.ت، ص٤٣.

(٢) لسان العرب،ابن منظور ،مادة (و-ر-ى)، (١٥/ ٣٨٨).

(٣) ينظر:مقاييس اللغة ، ابن فارس، (٥/ ٦٧-٦٨).

وهذه الصورة جاءت في ثلاثة مقاطع تضامت لتصور الغاية من حركة الخيل العاديات ، وتحكي مشهد الفوز بالمطلوب والظفر بالمقصود بيانًا للصورة السابقة؛" فالموريات قدحا أي:فالمنجحات أمرا، يعني الذين وجدوا مقصودهم وفازوا بمطلوبهم من الغزو والحج، ويقال للمنجح في حاجته: ورى زنده"(١).

وتستدعي هذه الصورة مشهد الإغارة والتصبيح بما يحمله من عنصر المفاجأة ، ويزيد المشهد تهويلًا وتخويفًا بتوسط الجمع في جو معتم تُحجَب فيه الرؤية بما تثيره شدة الحركة من الغبار وهو " مأخوذ من نقع الصوت إذا ارتفع، فالغبار يسمى نقعا لارتفاعه، وقيل: هو من النقع في الماء، فكأن صاحب الغبار غاص فيه، كما يغوص الرجل في الماء".(٢)

وفي استدعاء المعاني اللغوية للنقع استحضار للصورة البصرية مع الصورة السمعية؛ فالنقع :رفع الصوت ، كما أنه يحمل صفة الدوام والمتابعةيقال :نَقَع الصَّارِخ بِصَوْتِهِ وأنقع صوتَه، إذا تابعَه وأدامه (٣)

فهي تصور ارتفاع الغبار في الأجواء من آثار الحركة وشدتها، وفيه استحضار لمشهد ألفه المتلقي في البيئة البدوية في مشهد الإغارة، بما يلقيه في النفوس من ظلال وإيحاء.

ويأتي ختام المشهد التصويري بقوله تعالى: ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ يكشف عن الغاية الأسمى والهدف الأعلى الذي يرنو إليه القرآن الكريم من تصوير حركة الخيل العاديات وهو توسط الجمع بما يحمله التوسط من معنى العدل والنِصف ، ورمزية علو الشأن ، يقال: هو أَوْسَطُهُمْ حَسَبًا، إِذَا

(١) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب/ التفسير الكبير)، الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ،١٤٢٠ هـ ، (٣٢/ ٢٦٠).

(٢) السابق ، الصفحة نفسها.

(٣) ينظر :تهذيب اللغة ، الأزهري، (١٧٤/١)

كَانَ فِي وَاسِطَةِ قَوْمِهِ وَأَرْفَعِهِمْ مَحَلًّا[1].وهو ينزه الصورة القرآنية عن منازع الشعراء في وصف خيلهم في مشاهد الصيد واللهو ، ويعلو بها إلى قيم العدل وتحقيق النفع.

والمتأمل في هذا المشهد بصوره الثلاث السابقة يجد أنه خلا من عناصر التصوير المتعارف عليها عند البيانيين في التشبيه والاستعارة والمجاز، وإنما جاء التصوير بكلمات مكثفة مُشعة يخلع عليها القرآن الكريم إيحاءً وظلالًا تجعلها حرة طليقة تأبى التقييد فتنفتح في دلالتها التصويرية بما تتسع به مخيلة المتلقي، كما أن هذه الصور جمعت بين الصور المرئية والمسموعة فتداخلت الألوان مع الأصوات، وتكاملت الحواس في إدراك الصورة في تناسق معجب .

والجدير بالذكر التنبيه على أن ظهور أثر الحركة على الخيل في التصوير القرآني بكلمة (الضبح) من اشتداد صوت أنفاسها وتغير لون وجهها- وصولًا إلى غايتها -لا ينفي جودة هذه الخيول مع استدعاء الصورة المتخيلة التي رسمها البيان العربي في قول المتنبي في وصف حركة فرسه[2]: (الطويل)

وأصرَعُ أيّ الوحشِ قفَّيتُه به ... وأنزِلُ عنه مثلَه حين أركَبُ

وشتان بين الصورتين مع اتفاقهما في وصف حركة الخيل، فالقرآن الكريم"نسيج من الصدق الخالص، وعصارة من الحقيقة المصفاة، لا تشوبه شائبة من وهم أو خيال، إنه يُبنى من لبنات الواقع بلا تزويق ولا تمويه"[3]،

(١) ينظر :مقاييس اللغة ، ابن فارس، (٦/ ١٠٨).

(٢) ديوان المتنبي،المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، ص٤٦٧.

(٣) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت -لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥، ص٩.

فالشاعر بنى صورته على الإدعاء والمبالغة في وصف شدة حركة فرسه مع عدم ظهور أثر تلك الحركة عليه، " فلما مدحه بأنه يلحق كل وحش عليه ولم يستثن شيئا من ذلك عقبه بأعظم منه مدحا وأكثر مبالغة بقوله «وأنزل عنه مثله حين أركب» في جموم جريه وكثرة نشاطه، أو أنه لا يعرق مع كثرة جريه لمزيد القوة وشدة صلابته"(١)

والمتأمل في وصف المتنبي للفرس وسياقه في قصيدته يجد أن الفرس في هذه القصيدة جاء معادلًا موضوعيًا لنفس الشاعر التي تموج بالاضطراب والقلق، ومع ذلك فهي تتظاهر بالهدوء والرزانة، فما الفرس –الذي لا يظهر عليه أثر الحركة الشديدة –إلا مرآة تعكس نفسية الشاعر التي تموج بالحركة والاضطراب بعد فقدانه ممدوحه سيف الدولة وهجره له مع شدة شوقه إليه، واضطراره مدح كافور الإخشيدي وهو دونه عطاءً ومنالًا، وهذا الصراع النفسي ظهر جليًا في مطلع القصيدة في قول الشاعر:(٢)

أغالبُ فيكَ الشَّوقُ والشَّوقُ أغلَبُ...وأعْجَبُ مِنْ ذا الهجرِ والوصْل أعجب

فاعتداد الشاعر بذاته يمنعه من إظهار الضعف وبث الشكوى، يؤكد ذلك حضور (الأنا) العالية من مطلع القصيدة:(أغالب،وأعجبُ، وعيني، شققتُ)وحضور تلك (الأنا) في البيت نفسه في قول الشاعر:(أصرعُ، قفيتُه، وأنزلُ، أركب) فضمير الأنا يشي بتلك النفس المتعالية وينِم عليها قوله بعد وصفه لحركة فرسه:(٣)

أَلا لَيتَ شِعري هَل أَقولُ قَصيدَةً ...فَلا أَشتَكي فيها وَلا أَتَعَتَّبُ

---

(١) الطراز في أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي اليمني، تحقيق :عبد الحميد الهنداوي ، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ، (٦٧/٣).

(٢) ديوان المتنبي، ص٤٦٦ .

(٣) السابق، ص٤٦٧ .

فالشاعر يتحدث عن ذاته التي تأبى الشكوى والتعتب، فالخيل قناع يرمز إلى نفس الشاعر المتعالية التي يقل وجودها ويقل وجود من تهفو إليه؛ لذا يقول الشاعر بعدها: (١)

وما الخيلُ إلا كالصديقِ قليلةٌ ... وإن كثُرَتْ في عينِ من لا يجرّبُ

فهذه الصورة نادرة الوجود، وهي على خلاف العادة التي جرت للخيل العادية التي تعلو صوت أنفاس عدوها على نحو ما ذكر امرؤ القيس في وصف حركة فرسه وصوت أنفاسه(٢): (الطويل)

عَلَى الذبل جَيَّاشٍ كَأَنَّ اهْتِزامَهُ ... إذا جَاشَ فِيهِ حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ

واهتزام الفرس صوت جريه(٣) فالشاعر " شبه تكسر صهيله في صدره بغليان القدر". (٤)

ولما كانت غايات التنزيل ترنو إلى لفت نظر المتلقي إلى أثر الحركات والأعمال، دون النظر إلى الهيئات والأشكال،فقد جاء التصوير تابعًا ومعضدًا لها بطريقة تبعد عن التقريرية والمباشرة ؛ لذا نجد التصوير القرآني للخيل لا يعرض إلى أشكالها وهيئاتها بوصف حجمها وأعضائها ونوع حركتها كعادة العربي في بيانه على نحو ما نجد في وصف امرئ القيس لفرسه في قوله(٥):(البسيط)

إذا تَبَصّرَها الرَّاؤُونَ ، مُقبِلَةً لاحَتْ لَهُمْ غُرَّةٌ مِنْها ، وَتَجْبِيبُ

---

(١) السابق، الصفحة نفسها.

(٢) ينظر: ديوان امرئ القيس، امرؤ القيس ،تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة، بيروت، الطبعةالثانية، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م، ص٥٥

(٣) لسان العرب،ابن منظور ، مادة(هـ-ز-م).

(٤) شرح المعلقات السبع ، الزوزني،دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص٦٥.

(٥) ينظر: ديوان امرئ القيس، ، .ص٨١.

وِقافُها ضَرِمٌ ، وَجَرْيُها جَذِمٌ وَلَحْمُها زِيَمٌ ، والبَطْنُ مَقْبُوبُ
وَاليَدُ سابِحَةٌ ، وَالرِّجْلُ ضارِحَةٌ وَالعَيْنُ قادِحَةٌ ، وَالمَتْنُ مَلْحُوبُ
وَالمَاءُ مُنْهَمِرٌ ، وَالشَّدُّ مُنْحَدِرٌ وَالقُصْبُ مُضْطَمِرٌ ، وَاللَّونُ غِرْبِيبُ

فالشاعر في تصويره لفرسه استغرق في الوصف وأطال في التفاصيل فوصف الوجه والعين، واليد والبطن، والرجل والمتن ،والقصب واللون ، وهذا ما تنزَّه عنه القرآن الكريم في تصويره الذي يصل إلى المطلوب بأوجز أسلوب.

المبحث الثاني: التصوير القرآني لحركة النفس الإنسانية:

السورة الكريمة جمعت حركة الخيل وحركة النفس برباط لفظي وهو القَسَم الذي يقصد به "تحقيق الخبر وتوكيده ...فالقرآن نزل بلغة العرب ، ومن عادتها القَسَم إذا أرادت أن تؤكد أمرًا"(١)، وهذا الرباط يشي بالقيمة الوظيفية للصورة الحركية للخيل وأثرها في تصوير حركة النفس؛ فالتصوير القرآني للحركة لم يأت إلا لغرض خدمة المعنى؛ لذا يتجاوز دور الحركة في بث الروح والحياة في الصورة إلى خلق المعنى وعرضه حيًا،كما أنه "يتجه إلى إثارة وجدان القارئ، إثارة روحية رفيعة، تحدث السرور في النفس فتقبل، أو تحدث فيها الألم فتأبى وترفض، والقرآن غنى بذلك؛ لأنه لا يعتمد على التفكير وحده ليقنع، ولكنه يتكئ عليه وعلى الوجدان ليستميل"(٢).

وتتابُع الصور وتلاحقها في وصف حركة الخيل في إطار القَسَم يجعل النفس تتشوف لمعرفة جواب القَسَم بعد كل آية من الآيات الخمس الأُوَل؛فيأتي الجواب بعد تهيئة النفس لاستقباله محاطًا بسياج التأكيد بإن واللام تقريرًا وتعظيمًا،يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ العاديات: ٦ -٨

والتصوير القرآني لحركة النفس الإنسانية اعتمد على المفارقة المبنية على التقابل بين طرفي الصورة في قوله تعالى:(إن الإنسان لربه لكنود)، وقوله تعالى: (وإنه لحب الخير لشديد). فقابل (لربه) بـ(لحب الخير)، وقابل (لكنود) بـ(لشديد)، وعمود الصورة لفظتي (كنود) و(شديد) وهما يصوران حركة النفس الخفية التي تتوارى في الصدور، والحركة هنا حركة هوى النفس وتشوفها إلى غايتها، كشف عن تلك الحركة لام الأجلية والمعنى: "كونه لأجل ربه لكنود

(١) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي، (٤٦/٢).

(٢) من بلاغة القرآن ، أحمد بدوي، نهضه مصر، القاهرة ، طبعة ٢٠٠٥م، ص٣٦.

ولأجل حب الخير لشديد[١]، فاللام اقتضت حركتين الأولى حركة النفس لربه ، والثانية حركة النفس لهواها.

واللفظة القرآنية (كنود) صيغة مبالغة من الكند،"وأصله القطع، يقال:كند الحبل... ومنه الأرض الكنود وهي التي لا تنبت" [٢]، فأصل الكنود منع الحق والخير، والكنود الذي يمنع ما عليه، والأرض الكنود هي التي لا تنبت شيئًا، ثم للمفسرين فيه عبارات..."[٣]، .

وهذه الكلمة القرآنية أكسبها النظم القرآني معنىً جديدًا نلحظه من الكلمة التي تقابلها وهي (شديد) وهذا من الطباق الخفي عند البلاغيين، فشديد جمعها أشداء وشداد ، وهي تحمل معنى القوة والعظمة ومنه قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥]أي :عظيم القدرة ، ومنه قوله تعالى:﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥] .لتشي كلمة شديد بمعنى الكنود وهو ضعيف الحركة ضعيف العزم، كما أن هذا المعنى لا ينفي قول المفسرين بأن شديد تعني البخيل.

فهذه المفارقة التصويرية التي بني عليها التركيب مفارقة موقف لنوع واحد يجمع بين الشيء وضده، فعلى الرغم من ضعف الحركة تجاه الرب المنعم إعراضًا وجحودًا، فإنها تجاه الخير وهوى النفس حركة شديدة إقبالًا وحبًا، والتعبير القرآني لم يكتف بتصوير حركة الإنسان تجاه ربه حتى لا يظن أن ضعف الحركة لعيب في خِلقته، فجاءت الصورة المقابلة؛ لتؤكد على قدرته وتمام خلقه وأنها في وسعه.

وتأتي هذه الصورة المجردة عقب الصورة الحسية ؛لترمز إلى الجمع

---

(١) تفسير النسفي(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، النسفي،تحقيق:يوسف علي بديوي،دار القلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م،(٦٧٢/٣).

(٢) مقاييس اللغة ، ابن فارس ، مادة (كند).

(٣) تفسير الرازي ، الرازي ، (٢٦١/٣٢).

بين الفعل والنية فالحركة هي الفعل الظاهر المحس والنية هي الحركة الخفية في النفس فهي "عبارة عن توجّه تام قلبي بحيث يستقرّ القلب على أمر. وقيل:هي عبارة عن استقرار القلب على أمر مطلوب وتوجّه تام وميل كمال بطريق القصد إلى أمر مطلوب"[1] .فالنفس تموج بالحركة الخفية التي لا ترى، وهي حركة يدفعها الشوق للخير العاجل في الدنيا من المال وغيره، لكنه في الجهة المقابلة ضعيف الحركة من أجل عطاء ربه الآجل تصل إلى درجة الإنقطاع والكند.

ويأتي تصوير الحركة الحسية للخيل في مقدمة السورة ليلقي بظلاله على تصوير حركة الإنسان إما بالمفارقة تارة وبالموافقة تارة أخرى ، فالمتأمل يجد المفارقة بين حركة الخيل لأجل فارسها ورب نعمتها شديدة ، تخرج أقصى ما عندها، لتصل إلى غايتها إرضاءً لسيدها ، وعلى النقيض تأتي صورة الإنسان الكنود ضعيف الحركة من أجل ربه حتى تصل إلى القطع .أو بالموافقة التصويرية بين حركة الخيل الشديدة وحركة النفس لأجل حب الخير .

والمتأمل في هذين المشهدين يلاحظ التناسب بين المقَسَم به وهو الخيل والمقسم عليه وهو الإنسان وبيان حاله ومآله وعاقبة أمره ، ويتمثل هذا التناسب في التعانق بين الصورتين حيث جاءت الخيل العاديات معادلًا موضوعيًا للنفس العاديات ؛ لذا جاء التعبير عن الخيل وحركتها بلفظ العاديات ؛ لتتناسب الصورة الحركية مع غايات التنزيل، **فيربط بين شدة الحركة في الخيل التي تثير النقع وتوري القدح فتغير صبحًا وتتوسط جمعًا وبين حركة النفس لأجل حب الخير إغارة وتوسطًا للجموع.**

❁❁❁

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، تحقيق:د.علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة الأولى ،١٩٩٦م،(٢/١٧٣٥).

المبحث الثالث: التصوير القرآني لحركة البعث:

المتأمل في بناء السورة الكريمة وحركة المعنى فيها يجد أنها بعد أن جمعت الحركتين الحسية الممثلة في التصوير الحسي لحركة الخيل ، والمعنوية الممثلة في حركة النفس ، تأتي الحركة الغيبية لما لم تعهده النفس ولم تره العين ولم يتوقعه حس في ذلك المشهد المهيب لحركة البعث من القبور وتحصيل مافي الصدور، في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ العاديات: ٩ – ١١.

يأتي الاستفهام الإنكاري ليوقظ الحس ويثير انتباه الإنسان إلى هذه النقلة بين عالم الشهادة وعالم الغيب ، بتوقيف الإنسان الكنود للنظر فيما ينتهي إليه أمره، وما تكون عليه عاقبته باستحضار لحظة البعث من القبور لتحصيل ما في الصدور والمجازاة على عمله ونيته.

وجاء التصوير القرآني لحركة البعث من القبور بكلمة (بعثر) ولم يعبر عنه بلفظ آخر كبُعث أو أُخرج؛ ليعبر عن حالة الحركة التي هي علامة الحياة والبعث والنشور على من في القبور ، كما أنها تحكي صورة استخراج الموتى من القبور في سرعة وتدافع تثير الأرض وتقلبها؛ فالفعل (بُعثر) مركب من فعلين (بعث) (أثير) [1] ؛ليحمل هذا الفعل مضمون الفعلين البعث والإثارة.

وهذا المشهد يستدعي في الذهن الصورة الحسية للخيل العاديات في إيرائها القدح وإثارتها النقع لتتوسط الجمع؛ ليلقي بظلاله على مشهد القيامة من القبور والسوق إلى أرض المعاد؛ لتوسط الجمع في أرض المحشر، تلك الحركة التي تتناظر مع حركة الخيل العاديات قوة وجلبة .

وهذه الحركة المصورة التي أُجملت في الكلمة (بُعثر) فصلت في مواطن أخرى في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٧-٨] وقوله

(١) المفردات في غريب القرآن ،الراغب الأصفهاني مادة (بعثر)، ص١٣٣

تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣] ، وكلها مشاهد تتكامل لتعطي الصورة التي تتناسب مع السياق الذي جاءت فيه .

وفي التصوير الحسي لحركة الخروج من القبور بكلمة (بُعثر) بالبناء لما لم يسم فاعله –وهذه ظاهرة مطردة في موقف البعث والقيامة – وذلك لما فيه تركيز الاهتمام على الحدث بصرف النظر عن محدثه، كما أنه يشي بالطواعية التي يتم بها الحدث تلقائيًا أو على وجه التسخير ، وكأنه ليس في حاجة إلى فاعل(١).

ثم يأتي التصوير بالفعل (حُصِّل) في قوله تعالى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ الذي يحمل في طياته معنى التجميع والتثبيت والتمييز والتبيين(٢) مقابلًا للفعل (بُعثر) الذي يحمل معنى التفريق والتبديد ، كذلك التعالق بين الخروج من القبور وما بين الخروج من الصدور ففيهما كشف للمستور، كذلك التوافق بين الصورتين في (القبور) و(الصدور) فكلاهما يستر ما فيه فتأتي حركة الإخراج للمستور في بعثر وحصل مع التقابل بينهما ففي البعثرة تفريق وتشتيت وفي التحصيل جمع وتمييز ، ثم يأتي التقابل بين حركة النفس الإنسانية تلك الحركة المستورة في الصدور وبين التحصيل لما في الصدور .

ثم يأتي الختام الذي يحمل الدليل على حقيقية الصور وصدق مدلولها؛ لأنها من تصوير الخبير جلت أوصافه وتقدست أسماؤه ليلقي اسم الله في هذا الختام بظلاله فجاءت التسمية بالرب مضافًا لهم ووصفه تعالى بالخبير : ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤] ، وكيف لا يخبر وهو الخالق الصانع:

---

(١) ينظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ،عائشة بنت الشاطئ ،دار المعارف ،الطبعة الثالثة، د.ت، ص٢٤٢-٢٤٣.

(٢) ينظر: لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (ح-ص-ل) ، (١٥٣/١١).

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].ولا يصلح لتلك الصور المتتابعة في السورة الكريم إلا هذا الختام باسم الرب الخبير العليم بما في الصدور ، المنبئ عن أحداث الخروج من القبور .

المبحث الرابع : التصوير الإيقاعي للحركة:

مما لا شك فيه أن "التناسق في النص القرآني يبلغ الدرجة العليا في إحداث جماليات التصوير الفني، والإيقاع أحد ملامح هذا التناسق وهو ناتج عن ملاءمة اللفظ مع النسق الخاص الذي ورد فيه"(١).

والسورة الكريمة أوفت حق المعنى في التصوير، كذلك أوفت حق اللفظ في التشكيل، فتناغم الصوت مع الدلالة فكأنه يحكيه، وتماثل المرئي مع المسموع، فجمع إلى القيمة المعنوية قيمة جمالية تطرب الآذان وتوقظ الحواس وتثير الملكات.

فسورة العاديات لها إيقاع معجب يشتد تارة ويهدأ تارة تبعًا للصورة التي ينقلها،ففي التصوير القرآني لحركة الخيل يلمس القارئ سرعة الإيقاع وشدته حيث قِصر الفقرات- فلا تتجاوز الكلمتين- وتتابعها وتسابقها تسابق الخيل، تحكيه الفاء "المصورة لسرعة وقوع الأحداث وتواليها، على نحو يخيل للقارئ والسامع، أنها بدأت وانتهت دون أن تتحرك عقارب الساعة" (٢)،يقول تعالى: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ۝٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ۝٥﴾

كما لا يخفى تناسق التراكيب وهندستها؛ فالجملة تعادل الجملة، والكلمة توازن الكلمة، في انتظام يحكي انتظام الحركات في عدو الخيل، نتلمس فيه وقع أقدام الخيل العاديات، ونسمع صوت أنفاسها مشوبًا بصوت اصطكاك سنابكها.

---

(١) من جماليات التصوير في القرآن الكريم ، محمد قطب عبد العال، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٦م ، ص٢٣٣ .

(٢) من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء –ثم)، د. محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٥٨.

فهذا الجمال التوقيعي الكامن في أصوات الحروف وسرعة جريانها وخفة نطقها، والتماثل في حركاتها وسكناتها يصور سرعة الحركة وخفتها مع انتظامها، على خلاف ما نجد في تصوير حركة دخول أهل النار في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ﴾ [الأعراف: ٣٨] فالفعل (ادَّاركوا) بالثقل الناتج من التشديد يصور حركة التدافع مع التثاقل حتى يدرك بعضهم بعضًا "واشتمال التشديد على سكون ثم حركة يدل على أن تزاحمهم على النار جعل بعضهم يعوق بعضًا قبل أن يتردُّوا في النار، فكأن النقطة التي تداعوا عندها كعنق الزجاجة،وهذا شبيه بإيحاء التكرار في قوله تعالى: ﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٩٤] ، أي وقع بعضهم فوق بعض"[١]"والكبكبة: تكرير الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقى في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقرّ في قعرها" [٢] فالكلمة بحروفها وهيئتها تحكي الحركة وصورتها.

والمقاطع الصوتية في سورة العاديات تتنوع بتنوع الصور المرئية "فالإيقاع القرآني مهما قيل عنه من حرارة وقوة، فإن المعنى هو الذي يقوده ويتحكم في مساره"[٣] فالمتأمل في مشهد تصوير حركة الخيل يجد أنه جاء في نسقين مختلفين بناءً وفاصلة ، فالأول: بني على الاسمية في (العاديات–الموريات–المغيرات) والثاني :بني على الفعلية في (أثرن–وسطن) وخالف النظم القرآني بين المعطوفات بناءً وإيقاعًا، فلم يعبر بـ(المثيرات –

(١) ينظر: البيان في روائع القرآن، د.تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص٢٨٧.

(٢) تفسير الزمخشري ، (٣/ ٣٢٢)

(٣) جمالية الخطاب في النص القرآني، د.لطفي فكري محمد الجودي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ،القاهرة ،الطبعة الأولى ، ١٤٣٥هـ /٢٠١٤م ، ص ١٧٣–١٧٤.

المتوسطات)؛ لتؤكد المخالفة أن القرآن الكريم لا يقصد الإيقاع لذاته وإنما لتحقيق أهدافه وغاياته، فهو تابع لغايات التنزيل ؛فالتعبير بالاسمية يشي بالثبوت والدوام في الصفة فكأنها صفة ملازمة للخيل لا تنفك عنها، فالأصل في صفات الخيل المقصودة والمحققة للغاية العدو والإيراء والإغارة ؛ لذا أقسم سبحانه وتعالى بها، وخالف في النظم إلى الفعلية ليؤذن بالمخالفة في العطف، فلو جاءت بصيغة الاسم لكانت معطوفة على العاديات ، تابعة لها في إفادة القَسَم لكنها متعلقة بقوله تعالى :فالمغيرات صبحًا) منقطعة عما قبلها ؛ فإثارة النقع تخالف إيراء القدح لمخالفة المكان؛ فإثارة النقع لا تكون إلا في التراب أما إيراء القدح لا يكون إلا في الصخر ، كما أن الإثارة للنقع أظهر في وقت الصبح بخلاف إيراء القدح الذي يكون أظهر في الليل فكان تعلقها بمشهد الإغارة أوجب، فكأنها بيان لحال الخيل المغيرات في إثارتها للنقع وتوسطها الجمع .كذلك جاءت صيغة الفعلية بالماضي لتفيد تحقق الحدث وإنجازه.

ولما انتهى المشهد الحسي لحركة الخيل العاديات هدأ الإيقاع فجاء الانتقال بين الصور والأحداث بالواو العاطفة ، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ۝١١﴾

فالقارئ للآيات الكريمة يلحظ تباطؤ الإيقاع اتساقًا مع تصويره للمعاني، فالجمل القصيرة في المشهد السابق قد طالت في هذا المشهد ، مع الموازنة بين الفقرات، والمحافظة على التناسق الصوتي للألفاظ المصورة للمعاني؛ لأن "الألفاظ تجري من السمع مجرى الأشخاص من البصر، فالألفاظ الجزلة تتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار، والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذوي دماثة ولين أخلاق" (١).

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير،تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد ،المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت، ١٤٢٠ هـ، (١/ ١٨١).

ثم يأتي دور الفاصلة القرآنية بجمالها التوقيعي وطاقتها الضافية؛ لتتلاحم مع الصور والمعاني ؛ فتطرق الآذان، وتثير الوجدان، فسورة العاديات تنوعت فواصلها بتنوع مشاهدها فبنيت الفواصل على أربعة حروف (الحاء الممدودة بالألف –العين الممدودة بالألف –الدال المردوفة بالواو أو الياء–الراء المردوفة بالواو أو الياء) توافقت أصواتها مع دلالتها .

ففي مشهد تصوير حركة الخيل وبيان أثر حركتها في اشتداد صوت أنفاسها مع سرعة عدْوها بنيت الفاصلة على حرف الحاء الممدودة بالألف في (ضبحا–قدحا–صبحا) فحرف الحاء مشبع ببحة تميزه عن باقي الحروف، هذه البحة تصور صوت الخيل العاديات ، وقد حكاه ابن عباس ﷺ في تفسيره لمعنى الضبح بقوله :أح أح[1]

والحاء حرف مهموس يجري فيه النفس عند النطق به ،منفتح يرتفع فيه اللسان عن سقف الحنك عند النطق به، فهو يصور ارتفاع صوت أنفاس الخيل العادية وهيئتها عند حركتها، فكأنه يضم إلى الصورة المرئية صورة مسموعة.

كذلك نلاحظ التناسق الصوتي في مقاطع الفاصلة التي توافقت في حركة وسكون في (ضب) (حا)، و(قد) (حا) و(صُب) (حا)، تحكي وقع الخيل على الأرض وانتظام حركتها.

وفي مشهد الإغارة تتغاير الفاصلة من الحاء إلى العين الممدودة بالألف، وهي وإن جاورتها في مخرج الحلق إلا أنها فارقتها في الصفة في الكلمات (نقعًا–جمعًا) فالعين حرف مجهور ينحبس النفس عند النطق به، كما أنه متوسط بين الشدة والرخاوة فلا يجري الصوت جريانًا كاملًا ولا ينحبس انحباسًا كاملًا ، وهذه الصفات من حبس النفس وعدم جريان الصوت يتناسب مع مشهد الإغارة بما فيه من بغتة تحبس الأنفاس وفجأة تضعف الصوت،كما

(١) تفسير الطبري، (٢٤/٥٧٥) .

لا يخفى التناسق الصوتي في مقاطع الكلمة (نق)(عا)و(جم)(عا)وما يحدث هذا التناسب التوقيعي من جرس متناغم مع الحدث كأنه يصوره ويحكيه.

وفي مشهد تصوير حركة النفس تتغاير الفاصلة إلى الدال المردوفة بالواو أو الياء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٦-٨]

والدال حرف مجهور ينحبس فيه النفس عند النطق به كما أنه شديد ينقطع فيه الصوت ،مما يضطرب عند النطق بها ساكنا ،وهذا يتناسب مع حركة النفس المحبوسة في الصدور، كما تتناسب الشدة مع شدة الموقف الذي تصوره من الكنود والجحود .

ثم تختم السورة الكريمة بفاصلة الراء المردوفة بالواو أو الياء في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١ ﴾ [العاديات: ٩-١١]

وحرف الراء يخرج من طرف اللسان ، ليتوافق خروجه مع مشهد الخروج من القبور .وهكذا يتناغم الصوت مع الدلالة ، والتشكيل الإيقاعي مع التشكيل الصوري .

ومن الملاحظ المناسبة في فواصل المشهدين الأخيرين اللذين يصوران حال الإنسان في الدنيا والآخرة ، وتأتي هذه المناسبة من حرف الواو أو الياء الذي يسبق الحرف الأخير في كلمة الفاصلة (كنود-شهيد-شديد-قبور-صدور-خبير) لتتحقق المناسبة الصوتية التي تعتمد على الانسجام لا على المطابقة التامة وهذه المناسبة الصوتية مبدأ من المبادئ التي تقوم عليها الفاصلة القرآنية بخلاف القافية الشعرية فهي لا تقنع بالمناسبة وإنما تتخطاها إلى المطابقة [1]

(١) ينظر: البيان في روائع القرآن، د.تمام حسان، ص٣٠٢

وهذا الاتساق الإيقاعي والتوافق الصوتي والنغمي في السورة الكريمة يرجح مكيَّة السورة التي اختلف في مكيَّتها؛ لأن " شأنها شأن السور المكية تمنح القيم الصوتية فيها مكانة في تكوين صورة المعنى وتشكيلها، على تنوع هذه القيم الصوتية فيها،ومن أبرز تلك القيم ما تواطأت عليه رؤوس الآيات من التناغم المتنوع تنوعًا مرهونًا بالجو الذي يشيع في كلّ مقطع من مقاطعها على قصرها وقلة عدد آياتها.ممّا يدلّ على أنَّ تنوع الفواصل ليس معياره كثرة الآيات في السورة وامتداد سياقها بل مرده اقتضاء المعنى والغرض المنصوب له الخطاب"[1]

❁❁❁

(١)العزف على أنوار الذكر، أد.محمود توفيق سعد، ص٢٥٦.

المبحث الخامس

أثر تصوير الحركة في الوحدة البنائية للسورة

السورة بناء محكم المعاني متماسك المباني"تتنسق المعاني في السورة كما تتنسق الحجرات في البنيان .. بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائح تحيط بهما عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعضاء؛ ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضًا خاصًّا، كما يأخذ الجسم قوامًا واحدًا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية"(١)

وسورة العاديات تمثلت فيها الوحدة البنائية بشكليها الموضوعي والفني، فالسورة الكريمة بنيت على عمود واحد وهو بيان حال الإنسان وتآزرت مقدمة السورة التي جاءت في صورة القسم تهيئة وتمهيدًا لهذا المقصد ، ثم جاءت الخاتمة لتختم السورة الكريمة ببيان حال هذا الإنسان في الآخرة ؛ لتجمع السورة كعادة القرآن الكريم بين دار العمل ودار الجزاء .

أما الوحدة البنائية الفنية فتمثلت في وحدة التشكيل الصوري للحركة بأنواعها والتآخي المعجب بين الحركة الحسية والمعنوية ، بين الحركة العينية والغيبية؛ فالناظر في السورة الكريمة يجد أنها من ثلاثة مقاطع مقدمة وغرض وخاتمة:

المقطع الأول : المقدمة: تصوير حركة الخيل العاديات.

المقطع الثاني : الغرض :تصوير حركة النفس.

المقطع الثالث :الخاتمة: تصوير حركة البعث .

---

(١) النبأ العظيم ، ص١٨٨.

وقد انتظمت المقاطع الثلاث في سلك واحد ، أكسبها التصوير وحدة وجمالًا، كما أنها اتحدت بناءً وتركيبًا.

فالاتحاد البنائي للسورة تركيبيًا نابع من تنسيق صورها وتوازن أجزائها على الشكل الثلاثي ، فالصورة تعادل الصورة ، والفقرة توازي الفقرة فإذا كانت السورة الكريمة بنيت من ثلاث صور كما سبق،فإن كل صورة تتألف من ثلاث أجزاء ، ثم تتوازى تلك الأجزاء وتتوازن في هندسة محكمة وتناسق معجز، ففي السورة الكريمة" أَقسم بثلاثة أَشياء: العاديات والموريات والمغيرات، وجعل جواب القسم أَيضا ثلاثة أَشياء: إن الإنسان لربه لكنود، وإنه على ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد"(١)، كما أنه ختم السورة بثلاثة أشياء ، وفوق هذا نلحظ الترابط العجيب بين الصور وأجزائها إما على سبيل التوافق أو التقابل.

فجاء التعانق بين الحركة الحسية الممثلة في صورة الخيل ، والحركة المعنوية الممثلة في صورة النفس عن طريق رباط القَسَم الذي يربط المقسم به بالمقسم عليه، وجاء التآخي بين الحركة العينية في صورة الخيل والحركية الغيبية في حركة البعث . ولأهمية الصورة الحركية للخيل في أداء المعنى والوفاء به انتخبت هذه الصورة لتكون علامة يتلقاها القارئ على رأس السورة إشارة إلى مقصدها؛ كما أنها جاءت عمودًا بنيت عليه الصورتين الأخريين ، فقد جاءت حركة الخيل معادلًا موضوعيًا لتصوير حركة النفس في الدنيا ، وحركة البعث في الآخرة .

وجاءت المفارقة التصويرية في الربط بين الصورتين الحسية والمعنوية من خلال التقابل بين حركة الخيل العاديات من أجل ربها في قوتها وشدتها إرضاءً لفارسها وبين حركة الإنسان الكنود من أجل ربه ضعفًا وانقطاعًا إعراضًا وجحودًا.كما حملت الموافقة التصويرية من جهة أخرى بين شدة حركة الخيل لأجل فارسها وشدة حركة النفس لأجل هواها ومتاعها.

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،الفيروزبادي، (٥٣٧/١).

وبعد أن جمعت الحركتين الحسية الممثلة في التصوير الحسي لحركة الخيل، والمعنوية الممثلة في حركة النفس، تأتي الحركة الغيبية لما لم تعهده النفس ولم تره العين ولم يتوقعه حس في ذلك المشهد المهيب لحركة البعث من القبور وتحصيل مافي الصدور، وهذا المشهد يستدعي في الذهن الصورة الحسية للخيل العاديات في إيرائها القدح وإثارتها النقع لتتوسط الجمع ؛ ليلقي بظلاله على مشهد القيامة من القبور والسوق إلى أرض المعاد ؛ لتوسط الجمع في أرض المحشر، تلك الحركة التي تتناظر مع حركة الخيل العاديات قوة وجلبة، كذلك تتناظر إثارة النقع وإرتفاعه من حركة الخيل العاديات مع إثارة النقع من تثوير القبور وحركة الأجساد منها في هذا المشهد المهيب الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين.

كذلك استحضار مشهد الإغارة في حركة الخيل العاديات بما يثيره في النفس من البغتة والفزع تارة ، واستلاب النعم وإفسادها تارة أخرى ليلقي بظلاله على يوم القيامة الذي يأتي بغتة فيفزع له الإنسان تارة ، كما أنه يسلبه ماله وسلطانه تارة أخرى.

ويأتي الختام ليرد الأعجاز على الصدور في وصف الرب بالخبير عودًا على بدء السورة في بيان حركة النفس مما لم تعهده الناس ولم تدركه الحواس، كذلك في رد ختام السورة بقوله تعالى: (وإنه على ذلك لشهيد) عقب تصوير حركة الإنسان لربه بالكند، وهو ما يتوافق أيضًا مع مشهد تحصيل ما في الصدور من النيات والأسرار، خليق بهذا كله العليم ببواطن الأمور والأسرار، الخبير بدقائقها وخفيها.

وكما اتحدت السورة بنائيًا من خلال التشكيل الصوري ، كذلك تمثلت فيها الوحدة الإيقاعية والصوتية، فهذا الجمال التوقيعي الكامن في أصوات الحروف وسرعة جريانها وخفة نطقها والتماثل في حركاتها وسكناتها يصور سرعة الحركة وخفتها مع انتظامها، وهذا من بديع التصوير القرآني حيث أن الكلمات بحروفها تحكي الحركة وتصورها والسورة الكريمة أوفت حق المعنى

في التصوير، كذلك أوفت حق اللفظ في التشكيل، فتناغم الصوت مع الدلالة فكأنه يحكيه، وتماثل المرئي مع المسموع ،فجمع إلى القيمة المعنوية قيمة جمالية تطرب الآذان وتوقظ الحواس وتثير الملكات.

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه ، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد :

فهذه رحلة ماتعة عشتها في رحاب سورة العاديات متخذًا من دراسة التصوير القرآني للحركة أداة لقراءة السورة الكريمة ورصد حركة المعنى وانسجامه كأنه نسيج واحد وإن اختلفت خيوطه ، ورصد الوحدة البنائية في السورة من الجهة الفنية ،وقد تمخض البحث عن بعض من النتائج ، منها:

- الحركة في التصوير القرآني جاءت على ضربين :إما أن يأتي التصوير بالحركة ، وإما أن يأتي التصوير للحركة ، ففي الضرب الأول تأتي الحركة لتنقل المعاني العقلية في صورة حسية ، فتبعثها من التجريد إلى مدارك الحس؛لتكون أعلق في الذهن وأرسخ في الفؤاد.وإما أن يأتي التصوير للحركة الحسية في صورتيها الجزئية الممثلة في الأفعال الحركية ، أو الصورة الكلية لأشياء حركية على نحو ما نجد في تصوير حركة الملائكة في مقدمة سورة (الصافات)و(النازعات)، وتصوير حركة الريح في مقدمة سورة(الذاريات) و(المرسلات)، وتصوير حركة الخيل في مقدمة سورة (العاديات) وهذا الضرب هو ما عني به البحث وانطلق منه .
- الوحدة البنائية التي يتغياها البحث تتجاوز الوحدة الموضوعية الممثلة في مقاصد السور إلى الوحدة الفنية الممثلة في وحدة التشكيل الصوري ، ووحدة التصوير الإيقاعي والصوتي، وغيرها من الصور الفنية التي تمثل إشارات على الطريق تهدي المتلقي لحركة المعنى ، وتساعد في الكشف عن الوشائج والصلات التي تكون كالسلك الذي تنتظم فيه المعاني وتتساوق به المباني.
- سورة العاديات على قصرها تزخر بأنواع من الحركة كالحركة الحسية والحركة المعنويةوالحركة الغيبية، تضامت هذه الحركات وتعانقت

لتجعل المحسوس جسرًا يعبر به المعنى إلى المعقول، وجعلت العيني دليلًا على الغيبي في وحدة صورية.

- كما تمثلت في السورة الكريمة الوحدة البنائية في التشكيل الصوري كذلك تمثلت فيها الوحدة البنائية في التشكيل الإيقاعي والصوتي،فكما أوفت السورة بحق المعنى في التصوير كذلك أوفت بحق اللفظ في التشكيل، فجاءت الألفاظ بانسجامها الصوتي وجمالها التوقيعي متساوقة مع التصوير مكملة له ، كما جاءت الفاصلة القرآنية لتؤدي دورها الجمالي والتصويري ؛ لتتلاحم مع الصور والمعاني .
- جاء التصوير القرآني للحركة في السورة الكريمة بصورة خلت من طرائق البيانيين في التعبير الاستعاري والمجازي، وإنما جاء بألفاظ بدلالتها الحقيقية فكساها ظلالًا وإيحاءً جعلها تشع بالصور التي ينفتح لها مخيلة المتلقي، فهي على محدوديتها اللفظية إلا أنها تنفتح دلاليًا بما يفتح آفاقًا رحبة في التصوير كما تفتح آفاقًا رحبة في التأويل.
- جاء التصوير القرآني للحركة تابعًا للمعنى محققًا لغايات التنزيل؛ لذا تجاوز دور الحركة في بث الروح والحياة في الصورة إلى خلق المعنى وعرضه حيًا،فجاءت الخيل معادلًا موضوعيًا للنفس الإنسانية،كما جاءت صورتها الحركية جسرًا يعبر به المعنى من الصورة العينية في حركة الخيل إلى الصورة الغيبية في حركة الأجساد من القبور.

وإن كان من توصيات فيوصي البحث بما يأتي :

ضرورة الخروج في دراسة التصوير القرآني من الصور الجزئية المتمثلة في المفردات، إلى الصورة الكلية الممثلة في الآيات، فدراسة الصور على مستوى السور مجال رحب يفتح آفاق التأويل ويكشف عن جمال التصوير.

دراسة الوحدة البنائية للسور من الجهة الفنية من خلال التشكيل القصصي أو التشكيل الصوري أو التشكيل الإيقاعي والصوتي ' فهي مجال خصب يحتاج إلى تواتر الأقلام عليه للكشف عن أسراره.

أشار البحث إلى صور حركية مماثلة لصورة الخيل في سورة العاديات تحتاج إلى تواتر الأقلام للكشف عن لثامها كصورة الريح في سورة الذاريات والمرسلات ، وصورة الملائكة في سورة الصافات والنازعات.

وبعد،

فهذا البحث لا أدعي فيه كمالًا، فالكمال لله وحده ، ولا أنتوي به سبقًا إلى جديد، ولا أقول هذا تواضعًا فإنما يتواضع الكبار، وإنما هذا جهد المقل، قصد به صاحبه أن يفتح بابًا للمناقدة والمباحثة والتجريب، وحسبي أني أفرغت ما أملك من جهد، واستنفدت ما أجد من طاقة ؛ فالله أسأل أن يعاملنا بما هو أهله ولا يعاملنا بما نحن أهله ، وأن يستعملنا ولا يستبدلنا ،وأعوذ به أن يزل لساني، أو يهفو قلمي، فأقول ما ليس لي بحق ،إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والله من وراء القصد ،

الفقير إلى عفو ربه

محمد إبراهيم مغازي الحبشي

فهرس المصادر والمراجع

أولًا:القرآن الكريم .

ثانيًا : المراجع:

- الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، د.ت.
- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني،تحقيق:محمودمحمد شاكر،مطبعة المدني بالقاهرة ، د.ت.
- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ،عائشة بنت الشاطئ ،دار المعارف ،الطبعة الثالثة، د.ت.
- البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبرهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، تحقيق:محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠ م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزبادي، تحقيق:محمد على النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦هـ /١٩٩٦م.
- البلاغة القرآنية في الإشارة والحركة الجسمية ، أد.عبد الله محمد هنداوي، مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- البيان في روائع القرآن، د.تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- البيان والتبيين ، الجاحظ، تحقيق:عبد السلام هارون،دار الهلال ، بيروت، ١٤٢٣هـ.
- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤ هـ.

- تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) ، الثعلبي ، دار التفسير، تحقيق:عدد من الباحثين (٢١) مثبتة أسماؤهم بالمقدمة (صـ ١٥)، دار التفسير، جدة ،المملكة العربية السعودية ،الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م .
- تفسير الرازي (مفاتيح الغيب/ التفسير الكبير)، الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعةالثالثة ،١٤٢٠ هـ
- تفسير الزمخشري(الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل)،الزمخشري، دار الكتاب العربي ، بيروت، الطبعة الثالثة ،١٤٠٧هـ .
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ،دار الكتب المصرية ، القاهرة ،الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ /١٩٦٤ م
- تفسير النسفي(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)تحقيق:يوسف علي بديوي، دار القلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- جماليات تصوير الحركة في القرآن الكريم ، د.حكمت صالح، سلسلة روافد، الإصدار ٣٣، شوال ١٤٣١هـ-٢٠٠٦م.
- جمالية الخطاب في النص القرآني، د.لطفي فكري محمد الجودي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ،القاهرة ،الطبعة الأولى ، ١٤٣٥هـ /٢٠١٤م .
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، د.عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة،الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م
- دراسة في البلاغة والشعر، د.محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/١٩٩١م
- دفاع عن البلاغة، أحمد حسن الزيات ، مطبعة الرسالة ، القاهرة، ١٩٤٥م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة

المدني ، القاهرة، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- ديوان المتنبي،المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
- ديوان امرئ القيس، امرؤ القيس ،تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة، بيروت، الطبعةالثانية، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.
- سيمياء العنوان ، أ.د.بسام قطوس ، وزارة الثقافة ، عمان الأردن ، الطبعة الأولى، ١٠٠٢م.
- شرح المعلقات السبع ، الزوزني،دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- الصورة الأدبية تأريخ ونقد، د.علي علي صبح، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.
- الصورة الأدبية، د.مصطفى ناصف، دار مصر ،القاهرة ،١٩٥٨م .
- الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث،بشرى موسى صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩٤م .
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د.جابر عصفور، دار الثقافة ،القاهرة،١٩٧٤م.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د.جابرعصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.
- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، د.نصرت عبد الرحمن،مكتبة الأقصى ،عمان ،١٩٧٦م .
- الطراز في أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي اليمني، تحقيق :عبد الحميد الهنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ.

- العزف على أنوار الذكر(معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في السورة)، د.محمود توفيق سعد، نسخة الكترونية على المكتبة الشاملة، بتاريخ ١٤٣١هـ،
- العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي،د. محمد فكري الجزار،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،٨٩٩١م.
- العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق: د.مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت ،
- العين،الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.
- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥/١٩٧٥م .
- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت –لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، تحقيق:د.علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة الأولى ،١٩٩٦م.
- لسان العرب،ابن منظور،دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير،تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد ،المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور،البقاعي،مكتبة المعارف، الرياض،الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧م.
- المعجزة الكبرى (القرآن)، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٠م.
- مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، الرازي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٠هـ .

- المفردات في غريب القرآن ،الراغب الأصفهاني ، تحقيق:صفوان عدنان الداودي، دار القلم–الدار الشامية، دمشق –بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ.
- مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تحقيق :محمد عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
- مقدمة ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون ،تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت ،الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨، .
- من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء –ثم)، د. محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- من بلاغة القرآن، دأحمد بدوي ،مكتبة نهضة مصر ، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥ م.
- من جماليات التصوير في القرآن الكريم، محمد قطب عبد العال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ،٢٠٠٦م
- النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن الكريم) ،محمد عبد الله دراز،دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- النظرات، مصطفى لطفي المنفلوطي، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت .
- النقد الأدبي (دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن)، أ.د.صلاح الدين محمد عبد التواب، دار الكتاب الحديث، طبعة ١٤٢٣هـ٢٠٠٣م.
- الوحدة البنائية للقرآن المجيد، د.طه جابر العلواني،مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
ملخص البحث	٣
مقدِّمة	٥
التمهيد: مصطلحات البحث	٩
المحور الأول: التصوير القرآني للحركة.	٩
الحركة في القرآن	١٤
المحور الثاني: الوحدة البنائية.	٢٢
المدخل: بين يدي سورة العاديات	٢٤
المبحث الأول: التصوير القرآني لحركة الخيل.	٢٧
المبحث الثاني: التصوير القرآني لحركة النفس الإنسانية.	٣٧
المبحث الثالث: التصوير القرآني لحركة البعث.	٤٠
المبحث الرابع: التصوير الإيقاعي للحركة.	٤٣
المبحث الخامس: أثر تصوير الحركة في الوحدة البنائية للسورة	٤٩
الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات	٥٣
فهرس المصادر والمراجع	٥٦
فهرس الموضوعات	٦١